الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
ⴰⵏⴰⵎⵓⵔ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵜ ⵜⴰⵏⴰⵡⴰⵢⵜ ⴰⵏⴰⵎⵓⵔ ⵏ ⵜⵙⵙⵏⴰⵡⵉⵏ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⵜⵉⵏ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵎⴻⵔⵉ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵜ ⵜⴰⵏⴰⵡⴰⵢⵜ ⵜⵓⵙⵙⵏⵉⵡⵉⵏ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⵜ ⴷ ⵜⵓⵙⵙⵏⵉⵡⵉⵏ ⵜⵉⵏⴳⵍⵉⵙⵜ

Université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et Littérature Arabes

جامعة مولود معمري؛ تيزي –وزو
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربيّة وآدابها

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لاستكمال شهادة الماستر

الموضوع:

التمثيل النسوي للعنف في رواية «بين فكي وطن» لـ زهرة ديك

إعداد الطالبة:
وداد هلا

إشراف الأستاذ
د. عزيز نعمان

أعضاء لجنة المناقشة:
د. حسينة فلاح، أستاذة محاضرة صنف "أ"، جامعة تيزي وزو..... رئيسة
د. عزيز نعمان، أستاذ محاضر صنف "أ"، جامعة تيزي وزو.....مشرفا ومقررا
أ. جمال بن عمار، أستاذ مساعد صنف "أ"، جامعة تيزي وزو.....ممتحنا

السنة الجامعية: 2020/ 2021

كلمة شكر

نحمد ونشكر ربنا عز وجل الذي أنار دربنا وهدانا إلى طريق العلم والمعرفة ليخرجنا من ظلمات الجهل الى طريق النور فعز جلاله.

ويطيب لنا أن نقدم جزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من كان له الفضل بعد الله سبحانه و تعالى في إتمام هذا البحث.

ونخص بالشكر الدكتور المشرف "نعمان عزيز" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاده في انجاز هذا البحث.

كما نتقدم بخالص الشكر والعرفان لجميع أساتذة قسم اللغة العربية الذين قدموا لنا من بريق عملهم الإرشادات وتوصيات ونصائح وتوجيهات.

وشكر خاص لكل من ساعدنا سواء من قريب أو من بعيد لإتمام هذا البحث.

وشكرا

الإهداء

اهدي هذا العمل إلى أغلى ما لدي في الحياة

إلى والدي أطال الله في عمرهما

إلى أخي خليل وأختي الغالية مريم

إلى زوجي حسن الذي كان لي سند وعون

وإلى كل من يؤمن بان بذور النجاح والتغيير في ذراتنا، وفي أنفسنا قبل أن تكون في أشياء أخرى.

إلى كل عائلتي صغيرهم وكبيرهم.

مقدمة

المقدمة

تعد "زهرة ديك" واحدة من الروائيات الجزائريات التي برزت في مطلع الألفية الثالثة، وأسهمت بمجموعة من الأعمال الروائية التي ارتبطت بالإنسان الجزائري والتزمت بتفاصيل حياته ومتغيرات واقعه، لا سيما في المرحلة التسعينية وما ترتب عنها من آثار وتبعات نفسية على المجتمع، تراكمت على مر الأيام وأصبحت مادة الأدب وإحدى تيماته الأساسية.

ولعل قضية العنف أكثر القضايا التي تطرقت إليها الكاتبة في رواياتها، ابتداء من أولاها، الموسومة بـ "بين فكي وطن" (2000)، التي اخترناها مدونة لبحثنا، لما توفره للباحث من عناصر وطيدة الصلة بالأزمة التي اجتازتها الجزائر في العشرية الأخيرة من التسعينيات، وإشباعا لرغبتنا في فهم تصور الأديبة الجزائرية وموقفها من ظاهرة شديدة التفاقم في أيامنا في بلدان عديدة من العالم.

ما لفت انتباهنا لدى قراءة رواية "بين فكي وطن"، تشريح الكاتبة الدقيق للوضع التسعيني في الجزائر، وتصويرها العميق لظاهرة العنف في أدق تفاصيلها ومختلف تجلياتها، وكذا الصيغة الصادمة التي جاء عليها العنوان، وهيمنة معجم العنف والتطرف على مشاهد الرواية وأحداثها، وتصوير ملامح الشخوص ويومياتها في ظل أجواء الخوف وعدم الاستقرار. وتدفعنا هذه المسائل الجوهرية إلى التساؤل عن كيفية تمثيل زهرة ديك للعنف في روايتها والميزة التي يتسم بها ذلك التمثيل الأنثوي؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية المركزية أسئلة أخرى نصوغها على النحو الآتي:

- ما ميزة السرد النسوي الجزائري، وكيف تعاطى مع موضوع العنف؟
- ما مظاهر العنف وأشكاله في رواية "بين فكي وطن"؟
- كيف ساعد عنصر الشخصيات في تجلي وتحديد مظهر العنف في الرواية؟

نفترض أن يتسم الأدب النسوي بسمات ترتبط بخصوصيات المرأة وعوالمها ووضعها الوجودي في ظل ما يمارس عليها من قهر في المجتمعات الذكورية، وأن تلتزم المرأة الأديبة بمختلف قضايا مجتمعها وأكثرها إلحاحا؛ كما نفترض أن تتأثر بظاهرة العنف وأن تمثلها استنادا إلى قناعاتها، وأن تسخّر زهرة ديك روايتها لتمثيل كافة أشكال العنف، بما في ذلك العنف الموجه ضد المرأة، وكشف مرجعياته، وفضح أساليبه، وأن تسهم كأديبة في تقويضه ومقاومته والدعوة إلى الحوار والمصالحة الإنسانية.

استدعت تيمة العنف منا اعتماد آليات الوصف والتحليل والمقارنة، وكان ذلك في مقاطع عديدة من الرواية المدروسة، في كل ما له صلة بالشخوص والأحداث. كما سعينا لرصد الدلالات العميقة التي تضمنتها الرواية. واستفدنا من الدراسات المنجزة حول الأدب النسوي عامة والرواية النسائية خاصة.

للإجابة عن أسئلة الإشكالية والتأكد من صحة الفرضيات الموضوعة، قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين، أما الأول فعنوانه "الرواية النسائية الجزائرية وقضاياها"، ويتكون من مبحثين، يتطرق أولهما إلى "ملامح الرواية النسائية الجزائرية وقضاياها"، بينما يدرس ثانيهما "الرواية النسائية الجزائرية وقضية العنف"؛ ويحمل الفصل الثاني عنوان "تمثيل العنف في رواية «بين

فكي وطن» ومحدداته على صعيد الشخصيات"، ويتكون بدوره من مبحثين، يعالج أولهما "أشكال العنف وتجلياته"، أما الثاني فيركز على "الشخصيات بوصفها محددات للعنف". وأنهينا بحثنا بخاتمة سجلنا فيها أهم نتائج البحث.

ولقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، كانت عونا لنا في التحليل والتأويل، لعل أهمها: "الصوت النسائي في الأدب النسائي الجزائري المعاصر" لـ "أحمد دوغان"، "الرواية والعنف– دراسة سوسيو نصية في الرواية المعاصرة" لـ "لشريف حبيلة".

ككل باحث أكاديمي، واجهتنا جملة من الصعوبات في إنجاز بحثنا هذا، وهي صعوبة الإلمام بجزئيات الموضوع، لقلة خبرتنا في تحليل النصوص الإبداعية، وكذلك صعوبة استخراج المصادر والمراجع من المكتبة في فترة الحجر الصحي بسبب "أزمة كورونا" التي شهدها العالم والجزائر، إلا أننا استطعنا بمشيئة الله وفضله أن نتجاوز كل هذه العثرات وأن نخرج البحث على ما هو عليه.

وفي الأخير، نحمد الله بما يليق بجلاله على توفيقه لنا، ونتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف، الدكتور" نعمان عزيز"، الذي كان لنا نعم السند ونعم المرشد، كما لا يفوتنا أن نشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة وتقويم هذا البحث، الذي نرجو أن يلقي قبولا واستحسانا لديهم.

الفصل الأول

المبحث الأول: ملامح الرواية النسائية وقضاياها

1- نشأة الرواية النسائية الجزائرية:

بينما كان صوت المرأة المناضلة يعلو إلى جانب أخيها وزوجها وابنها، غاب صوتها الآخر غيابا أدبيا وبخاصة في الشعر والقصة[1]، وهذا عكس ما نجده عند الكاتبة في الغرب التي احتكّت بجنس الرواية بالموازاة مع الرجل، فممارسة الكاتبة الجزائرية الرواية تعتبر حديثة إذ ما قورنت بممارستها عند الكتاب الرجل[2]. وان المتتبع للنشاط الأدبي والسياسي في الجزائر قبل الثورة يلاحظ شبه انعدام دور المرأة فيه، فلم يتسنى لها الحضور الفعلي، سواء في الحركة الثقافية أو في أي نشاط سياسي أو نقابي، فقد كانت المرأة الجزائرية تعيش في وضع اجتماعي مغلق محاصرة بالتقاليد والجهل والتهميش[3]. وقد ظل الصوت النسائي في الأدب الجزائري شبه غائب، ويرجع أكثر النقاد والدارسين تأخر ظهور الحركة الأدبية النسائية، وغياب مساهمة المرأة في الساحة الثقافية، إلى أسباب وعوامل عدة، كعامل الاستعمار الذي مارس أساليب قمعية لتضيق النطاق، في استعمال اللغة العربية وتدريسها، وبهذا انتشرت الأمية بين النساء، إذ حرمن من متابعة التعليم في الفترة الاستعمارية. كذلك نجد المفهوم التقليدي للأدب، فقد أولت الساحة الأدبية في تلك الحقبة عناية بالشعر، وقد كانت جمعية العلماء، بحكم إشرافها على الصحف، تركز على الشعر، فسيطرت على الأذهان فكرة أن الأديب الحق هو الذي يحسن نقل المشاعر شعرا. كما نجد عاملا آخر أسهم في محدودية إنتاجات المرأة، ويكمن في الجو المحافظ المتشدد الذي كان يستنكر وجود المرأة في النص الأدبي[4]. فكل هذه العوامل الاجتماعية والسياسية،

---

[1]- أحمد دوغان، الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص. 13.

[2]- خبيرة معطللة، فاطمة بولاهي، الرواية النسوية الجزائرية. موضوعاتها وبنيتها السردية، مذكرة ماستر، إشراف د. إدريس بن خويا، جامعة أدرار، الجزائر، 2014، ص. 19.

[3]- باديس فوغالي، التجربة القصصية النسائية في الجزائر، ط1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002، ص. 9.

[4]- ينظر: أمينة مهدي، حنان مرير، الأزمة الجزائرية في السرد النسوي. رواية "دوار العتمة" لوافية بن مسعود أنموذجا، مذكرة ماستر، إشراف أ. يمينة بن سويكي، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2017، ص 14-15.

والنظرة الدونية والرؤية المحتقرة المكرسة داخل المجتمع ضد المرأة، أسهمت في تأخير الإنتاج النسوي.

ظهرت أولى النصوص الروائية النسائية الجزائرية باللغة الفرنسية سنة 1947، وهما "ياقوتية سوداء" لطاوس عمروش و"ليلى فتاة من الجزائر" لجميلة دباش. كذلك تُعد آسيا جبار من الرائدات، فكتبت روايتها الأولى "العطش" سنة 1957، والثانية "القلقون" سنة 1958، وأتبعتهما بعد الاستقلال برواية "أطفال العالم الجديد" سنة 1962، و"القبرات الساذجة" في عام 1967. وفي هذه الرواية تتحدث الكاتبة عن وضعية المرأة المسلمة في الوطن والمهجر، فكانت منخرطة في قضايا المجتمع الجزائري، لاسيما تلك الخاصة بالمرأة، والتزمت لاحقا بتصوير أحوال مجتمعها خلال سنوات العنف، فتقول في عملها الموسوم "تلك الأصوات التي تحاصرني": "إن صوتي الخاص المنقول هنا حاول بالخصوص خلال هذه السنوات الصاخبة وبالخصوص التراجيدية لبلدي أن يدافع ببساطة عن الثقافة الجزائرية التي ظهر لي أنها في خطر[5]. وبذلك عُرفت آسيا جبار بأعمالها الأدبية المكتوبة باللغة الفرنسية، فتعتبر من النساء الكتابات التائهات بين حضارتين، ومن اللواتي حاربن الفرنسيين بلغتهم لإيصال رسالة ترتبط بمجتمعها وثقافتها ونساء بلدها.

ظلت الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية غائبة إلى غاية سنة 1979، لتظهر رواية "من يوميات مدرسة حرة " لزهور ونيسي، التي تعتبر من أوائل الأصوات النسائية البارزة اللاتي استطعن أن ينطلقن في الساحة الأدبية، من خلال أعمالها في مجال القصة والرواية[6]، وأصدرت كذلك سنة 1993 رواية "لونجة والغول". وكان هناك مشروع رواية في أدب الراحلة "زليخة السعودي" إلا أن رحيلها حال دون ذلك[7]. وهي بدايات أولى يلتفت أغلب الدارسين إليها.

[5]- ينظر: خبيرة معطللة، فاطمة بولاهي، مرجع سابق، ص. ص. 19- 20.
[6]- م ن ، ص. 19.
[7]- م ن، ص. ن

بدأت الكتابة النسائية الجزائرية في البروز ابتداء من تسعينيات القرن العشرين، حيث برز الكثير من المنعرجات والمعيقات التي مر بها المجتمع الجزائري، مما خلق توترا في كافة مجالات الحياة، "السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية" التي أدت إلى خلق فجوة في منظومته السياسية المتمثلة في العشرية السوداء والتي جعلت المجتمع جسدا بلا روح، وهنا ظهرت أو يمكننا القول سطع نور "الكتابة النسوية"[8]، فبرز دور المرأة الفعال في المجتمع بعدما أحست بضرورة الكتابة، لتعبر عن الأحداث المؤلمة التي كان وطنها مسرحا لها، ولتصور أيضا المشاهد التعسفية القهرية التي عاشتها في هذه الفترة.

تبرز أحلام مستغانمي في هذه المرحلة بروايتها " ذاكرة الجسد" (1993) ، التي قال عنها الشاعر السوري نزار القباني: "روايتها دوختني، وأنا نادرا ما أدوخ أمام رواية من الروايات، وسبب الدوخة أن النص الذي قرأته يشبهني إلى درجة التطابق فهو مجنون ومتوتر واقتحامي، متوحش وإنساني ... وخارج عن القانون مثلي ...الرواية قصيدة مكتوبة على كل البحور ...بحر الحب، بحر الجنس وبحر الأيديولوجيا، وبحر الثورة الجزائرية. هذه الرواية لا تختصر تاريخ الوجع الجزائري والحزن الجزائري، والجاهلية الجزائرية التي آن لها أن تنتهي"[9]. وهذه الشهادة التي جاءت من قبل أديب عُرف بشاعر النساء، تُظهر أن الرواية النسائية الجزائرية وعاء أفرغت الكاتبة الجزائرية فيه رواسب الاستعمار من جهة ومخلفات الإرهاب من جهة أخرى، فأضحت القصة والشعر غير قادرين على استيعاب كل هذه الآلام ، فأخذت النساء هذا الجنس الأدبي للتعبير عما يخالج صدورهن . وهذا ما عبرت عنه فضيلة فاروق وهي تكشف عن سر تحولها من قصة إلى الرواية، مؤكدة بأن "القصة لم تستوعب ألمها، وأنه أصبح يلزمنها دفاتر لتملأها بألمها"[10]. فعلى قدر الألم والمعاناة تتدفق الكتابة ويطول نفسها السردي.

---

[8]- ينظر: لبنى عبدي، خصوصية الكتابة السردية في لرواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق، مذكرة الماستر، إشراف أ. نادية موات ، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2008، ص. 24.

[9]- ينظر: وجدان الصائغ، شهرزاد وغواية السرد قراءة والرواية الأنثوية، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص. ص. 223-224.

[10]- فيروز بوخالفة، لغة السرد النسوية في أدب زهور ونيسي، مذكرة ماجستر، إشراف أ. صالح لمباركية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012، ص. 29.

وفي السياق نفسه تكشف ياسمينة صالح عن سبب تحولها هي أيضا إلى الرواية، مؤكدة أن "في الرواية نفسا أطول يثير بداخلها تلك الحالة اللذيذة من التعب واللهث والكلام ..."[11]، فالكاتبة الجزائرية كتبت عن آهات المرأة الجزائرية التي أرادت أن تتحرر من السلطة الأبوية، والقيود الاجتماعية، لتعبر عن ذاتها المفقودة في المجتمع الذكوري.

وظهرت بعد ذلك مجموعة من الأعمال الأدبية لعدة كاتبات جزائريات، نذكر منها روايات "فوضى الحواس" لأحلام مستغانمي 1996، "رجل وثلاثة نساء" لفاطمة العقون 1997، "بين فكي وطن" لزهرة ديك 1999، "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق 1999، "عابر سرير" لأحلام مستغانمي 2002، "أحزان امرأة من برج الميزان" لياسمين صالح 2003، و"علم على الضفاف" لحسيبة موساوي 2003، "وردة الرمال" لجميلة طلباوي 2003، "أوشام بربرية" لجميلة زنير 2004، "نادي الصنوبر" لربيعة جلطي 2012[12]، وغيرهن من الروائيات اللواتي أثرين الساحة الأدبية الجزائرية.

يتبين، من خلال تتبعنا مسار نشأة الرواية النسائية في الجزائر وتطورها، أن مخاضها كان عسيرا، فقد كان ظهورها محتشما على شكل محاولات قصصية، ثم أخذ يتطور ويتحسن، لتتولد تدريجيا أقلام مميزة، فكانت زهور ونيسي رائدة الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، وتليها أسماء جديدة أسهمت في إثراء الساحة الأدبية.

2- قضايا الرواية النسائية الجزائرية:

2-1- موضوعات خاصة:

لقد استطاعت الكاتبة والروائية الجزائرية أن تفرض وجودها من خلال كتاباتها وإبداعاتها، ذلك أنها تحدت الصعاب وطمحت إلى الأحسن، وغدت اليوم الأقرب للتعبير عن

[11]- م ن، ص ن.
[12]- خبيرة معطللة، فاطمة بولاهي، م س، ص. 21.

المرأة وعما يجول في صدرها، حتى إن استطاع الرجل في بعض الأحيان أن يلج العالم الأنثوي فإنه لا يصل، في اعتقادنا، إلى ذلك القدر الذي تصل إليه المرأة.

وإذا جئنا إلى القضايا التي أولتها المرأة المبدعة اهتماما في كتاباتها، نجدها موزعة على تيمات عديدة، نذكر منها ما يلي:

2-1-1- المرأة والحب:

شغلت تيمة الحب حيزا هاما في الكتابة النسائية، إذ تعد من القضايا الرئيسة التي كتبت فيها المرأة، "فمعظم النصوص الروائية تصور لنا العلاقة العاطفية بأسلوب تلميحي، بعيدا عن الجرأة نوعا ما، إلا أن المرأة الروائية لم تجد بدا من تناولها في نصوصها، مما يعلل المنزلة الأثير التي يحظى بها في حياتها، خاصة وهي تدركه رديفا للحرية"[13]. فنجد هذه التيمة في معظم الروايات النسائية، فالمرأة بفطرتها تميل إلى الحب.

فالحب محطة هامة في حياة المرأة وهو مادة عاطفية تلهم الأديبات، فهو عند الأديبة أحلام مستغانمي "الأول في حياة المرأة، بينما تلي أشياء كثيرة في حياة الرجل ولكون الحب ضرورة في حياة المرأة فعبره تحقق ذاتها وتستشعر كينونتها، إلا أنه أصبح يشكل رهانا خاسرا بالنسبة لبطلات الروايات النسائية، إذ غالبا ما تنتهي علاقات الحب إلى طريق مسدود لأسباب عدة قد يكون الموت أحدهما[14]، أو تزويج المرأة رغما عنها، كما هو الحال في رواية "تشرّفت

[13]- ينظر: عزة عناب ومريم شهبة، صورة المرأة في الرواية الجزائرية النسائية. رواية "الذروة" لربيعة جلطي أنموذجا، مذكرة ماستر، إشراف أ. باديس فوغالي، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2016، ص.ص. 41-42.
[14]- ينظر: م ن، ص. 42.

برحيلك" (2017) للكاتبة فيروز رشام، حيث يبرز حدث موت خطيب أخت البطلة بسبب عمل إرهابي[15]، ويكون لذلك وقعه على بقية الأحداث.

كما أن هناك حبا دون مقابل وهو الحب الحقيقي الذي تتجسد فيه التضحية، وهو ما نجده في رواية "لونجة والغول" لزهور ونيسي، حيث ضحى **"حنون"** بحريته مقابل الدفاع عن حبيبته **"خداوج"**. ومرادف الحب هو المعاناة والألم، وهذا ما يعيشه البعض عندما يكون الحب من طرف واحد، وفي هذا الشأن تُظهر زهرة ديك في روايتها "بين فكي وطن" ما تعانيه "حياة" من عدم اكتراث "فائق" لحبها له، إذ تقول: "أجل أحبت فائق وتعرف أنه لن يحبها أبدا بنفس الدرجة لكنها تحبه ....ولا تريده أن يموت....لا تتصور حياتها من غيره" [16].

يتباين بذلك موضوع الحب لدى الروائيات الجزائريات، فمنهن من يصوّرنه بوصفه لذة ومتعة وسر السعادة، ومنهن من يرين أنه معاناة ويأس وسبب ضياع سنوات شباب المرأة وهي تنتظر محبوبها، لكنه يظل لذة ومعاناة في الآن نفسه.

2-1-2- المرأة والجسد/ الجنس:

لقد تخطت الروائية العربية العادات والأعراف في كتابتها، وفي الحديث عن الجسد والجنس دليل على ذلك، "فالجسد هو سيل الكتابة عند المرأة ونارها التي لا تنضب ومعجزاتها التي لم تكتمل، فمن الجسد تقبض المرأة على شيطان لغتها ومن معجمه تزين السرد ببروقه ورعوده وتركب على أحصنة اللغة"[17]، والمرأة على حد تعبير الأخضر بن السائح "تكتب بجسدها قبل أن تنقل جسدها على الورق، تعكس سيميائية الجسد ببراعة رسمها، ودقة اختيارها في تشكيل سردها الروائي، مما يجعله قلق من السؤال وهاجس الواقع والتاريخ"[18]. فتكتب المرأة عن

---

[15]- ينظر: فيروز رشام ، تشرفت برحيلك، ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، 2017، ص. 142.
[16]- زهرة ديك، بين فكي... وطن، منشورات التبين الجاحظة، الجزائر، 2000، ص5
[17]- الأخضر بن السائح، الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، مجلة الخطاب، المجلد4، العدد4، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، جانفي 2009، ص. 71.
[18]- الأخضر بن السائح، سرد الجسد وغواية اللغة. قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2001، ص7.

الجسد بإرادة منها ورغبة، وهذا ما نجده في رواية "الأسود يليق بك" حيث صورت "أحلام مستغانمي" العلاقة التي كانت تربط "هالة" بـ "طلال" خارج نطاق الزوجية، عبر المقطع الحواري الآتي:

"مر عام مذ تعارفا، الليلة فقط يضمها إليه في سرير.

قال وهو يتمدد إلى جانبها:

أنت أول من تنام على هذا سرير.

توقع أن يهدي إليها ما يسعدها. أجابته بما فاجأه:

وأنت أول رجل أقاسمه سريرا"[19].

كما أن هناك أدبيات كتبن عن هذا الموضوع ليس لغرض المتعة بل لكشف المعاناة، فقد كشفت الروائية "أمال بشيري" في روايتها "العالم ليس بخير" ما يدفع بعض النساء لممارسة الجنس، وهو الحاجة إلى المال وتجاوز حالة الفقر، ومن نماذجهن شخصية "فاطمة" التي قصدت المدينة للبحث عن عمل لتعيل بها عائلتها. تقول الروائية في مقطع من روايتها: "....من يومها أصبحت الفتاة المدللة لدى فوندا التي علمتها أسرار النساء، وأصناف الرجال، والخمور والنزوات التي تكسب لها لقمة العيش دون الاكتراث بما يقوله الناس عنها"[20].

لقد تطرقت الرواية النسائية إلى موضوع الجسد والجنس، برغبة من الكاتبة لتجسيد المتعة في نصها، أو لتجسيد المعاناة التي تعيشها المرأة، كما نجد فرعا آخر من السرد الروائي يتخذ الجسد فيه موضعا هاما لجذب المتقي ونيل الشهرة.

2-1-3- المرأة والزواج:

[19]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، ط7، دار العزة والكرامة للكتاب الجزائري، وهران، الجزائر، 2013، ص217.
[20]- أمال بشيري، العالم ليس بخير، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص49.

الزواج ظاهرة اجتماعية بين الذكر والأنثى، وتعد من أرقي العلاقات الإنسانية المقدسة بين الرجل والمرأة، وهو أساس تكون أي مجتمع، ووسيلة للحفاظ على العرق البشري، فالكثير من النساء الجزائريات يرغمن على الزواج برجل تراه العائلة مناسبا، فتزوج به، وفي بعض الأحيان يقرر الزواج بين عشية وضحاها، وتزف العروس إلى عريسها دون أن تراه أو حتى أن تحضر نفسها، والقرار لا جدال فيه حتى ولو كان على حساب سعادة العروس وراحتها، فتقابله المرأة في غالب الأحيان بالرضوخ والاستسلام، ذلك أنها لا تستطيع إبداء رأيها فهي مجبرة لا مخيرة، لتقع بعدها تحت طقوس مؤسسة الزواج التقليدي.

تبدأ معاناة المرأة في حياتها الجديدة مع زوج لا شيء يجمعها به، غير قرار عائلي متعسف، وهذا ما يتجسد في شخصية البطلة "باني" في رواية "اكتشاف الشهوة" لفضيلة الفاروق، عبر المقطع الآتي: "يجمعنا الجدران وقرار عائلي بال، فغير ذلك لا شيء آخر يجمعنا، فبيني وبينه أزمة متراكمة وأجيال على وشك الانقراض....[21]". فلا تتعدى العلاقة التي بين الزوجيين حدود التزاوج، وهذا ما عبرت عنه "حياة" أثناء حديثها عن زوجها في "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي: "أنا لا ارتبط به.... أن أهرب إليه فقط من ذاكرة لم تعد تصلح لسكن بعدما أثنيتها بالأحلام المستحيلة والخيبات المتتالية "[22].

ويتولد عن حالة التنافر بين الزوجين خيانة المرأة لزوجها، في بعض الروايات، "فالمرأة وهي تخون زوجها لا تشعر بأي قيمة سلبية لهذا الفعل، قد تجعلها على عتبات الندم بل تجد فيه معبرا للحرية والمتعة التي حرمت منها ولم ينصفها أحد"[23]. وتظل المرأة، في روايات أخرى، أ وفية لزوجها طيلة حياته وحتى بعد وفاته، وهذا ما صورته **فتيحة أحمد بورويبة** في روايتها

[21]- فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة ، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، يناير 2006، ص12.
[22]- عزة عناب ومريم شهبة، م س، ص52.
[23]- م ن، ص ن.

"الهجالة" إذ تقول: "تدفع النساء للحزن على أزواجهن بعد رحيلهم .... على خلفية ما أعتبر تقديرا لهم وتعظيما لشانهم تألما على فقدانهم"[24].

وليست المرأة وحدها الوفية للزوج الراحل، بل قد يكون الزوج أيضا وفيا لزوجته الراحلة، وهذا ما أظهرته "نور عائشة" في روايتها "سقوط فارس الأحلام" في مشهد رفض أبي سفيان الزواج بعد وفاة زوجته رغم إلحاح أخته عليه. تقول الراوية في هذا الشأن: "ولم يفكر في الزواج عليها رغم إلحاحها مرات عديدة، لأنه سيسقط في خيانة نفسه تجاه المرأة التي قاسمته فرحته وآلامه"[25].

وبذلك أحاطت الرواية الجزائرية النسائية بهذا الموضوع في مختلف تجلياته، حيث يكون الزواج في بعض الأحيان محتّما على المرأة غير مرغوب فيه، ويكون، في أحايين أخرى، مرغوبا فيه، وتتولد عن ذلك الرضا المتبادل علاقات الوفاء والإخلاص بين ومن الطرفين.

2-1-4- المرأة والطلاق:

تظهر الروايات النسائية الجزائرية كيف تتزوج المرأة قهرا، وتتلقى أسوء المعاملات من عائلة زوجها، وكيف يكون الطلاق نتيجة ما تعيشه من قهر واستبداد داخل العش الزوجي، هذا ما جسدته جميلة زنير في روايتها "أصابع الاتهام"، إذ صورت ما كانت تعانيه زوجة "عادل" جراء معاملته العنيفة لها. تقول متحدثة عن وضعها: "كان يتمنى لو أبقى أخدم أمه التي يقدسها وحين رفضت بحزم، هددني بالطلاق كان لي معه خمسة أطفال فجمعت أشياءنا القليلة ورحت إلى أهلي، وفي هذه الأثناء استقدموا أحد أقاربهم وزوجوه في الغرفة لكي لا أطمع في العودة"[26]. وكذلك تظهر بعض الروايات كيف تغدو المرأة المطلقة عنوانا للعهر في المجتمع الجزائري، وهي الحقيقة التي اصطدمت بها " باني"، بطلة رواية "اكتشاف الشهوة"، بعد

[24]- فتيحة أحمد بوروينة، الهجالة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص71.
[25]- بنور عائشة، سقوط فارس الأحلام، ط1، منشورات نورشاد، الجزائر، 2009، ص166.
[26]- جميلة زنير، أصابع الاتهام، موفم للنشر الجزائر، 2008، ص129.

طلاقها من "هود" وعودتها من فرنسا إلى بلدتها أريس: "كيف ستعيشين مطلقة وسط رعاع، غدا سترين الرجال، كيف سيتحرشون بك، وكيف ستحاك حولك الحكايات وكيف ستصبحين عاهرة في نظر المجتمع دون أن يرحمك أحد"[27]. فانفصال المرأة عن زوجها جعلها عاهرة في نظر المجتمع، فقد قررت "باني" الطلاق من زوجها عندما وجدته يخونها مع امرأة من باريس، وهذا ما ورد في قولها: "شيئا فشيئا وجدتني أتكاسل للنهوض من فراشي صباحا وأهرب لمزيد من العزلة وأتناول مزيدا من الأطعمة وأموت كثيرا في كل الأوقات، أموت"[28]. فيحصل الطلاق، كما في حالة "باني"، نتيجة انعدام الثقة بين الزوجيين واتساع الهوة بينهما.

وقد يحدث الطلاق بسبب الغيرة وتدخّل أطراف خارجية بين الزوجين توسّع الفجوة بينهما وتزرع الشك والنفور، ونموذج ذلك ما حدث مع "أم أندلس" التي طلقها زوجها بسبب ابنة عمته "نوارة"، تقول "أندلس" عن حال أمها بعد الطلاق: "أنا لست أمي العاشقة، الضعيفة، المطفأة، الحزينة، المغلوبة على أمرها، تستعبدها الظروف ويشلها الغرام، لن أكن مثل أمي الباكية حظها المتعثر، أحشاء الليل وأطراف النهار"[29].

تصور الروائية الجزائرية أسباب الطلاق وحالة المرأة بعد الطلاق ورؤية المجتمع إليها، فإذا ما تعرضت لذلك الوضع تعامل بسلبية أكثر، بذريعة أنها لم تحافظ على بيتها وعلى الرباط المقدس الذي كان بيدها.

2-1-5- المرأة والإنجاب والأمومة:

الأمومة هاجس يراود كل امرأة وحلم كل زوج، فيبحث الرجل عن الأرضية التي يصب فيها رجولته، وتبحث المرأة عن الوفاء الذي تصب فيه حنانها وعواطفها. وينظر المجتمع

[27]- فضيلة الفارق، اكتشاف الشهوة، م س، ص89.
[28]- م ن، ص12.
[29]- ربيعة جلطي، الذروة ، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010، ص89.

العربي إلى المرأة دوما بعين الانتقاص حتى وان اعتلت أسمى المراتب والمناصب، فماذا إن كانت مطلقة، كما سبق أن أشرنا، أو عقيمة، أو تنجب الإناث فقط؟ ستظل ناقصة توجه إليها وحدها أصابع الاتهام، فيصير الإنجاب ونوع هذا الإنجاب الصفة التي تفاضل بها المرأة على أخرى، وليست هذه النظرة حديثة بل متجذرة في الفكر العربي منذ الجاهلية.

تتقمص المرأة، منذ طفولتها، دور الأم أثناء لعبها، ويتجلى ذلك لديها عندما تصبح امرأة وتفوح منها رائحة الأنوثة، إذ تكبر معها هذه الرغبة -الأمومة-، وتصبح هاجسها الأكبر، هذا ما عبرت عنه شخصية "فاطمة" في رواية "سقوط فارس الأحلام" لبنور عائشة" إذ تقول :" أنا شابة أحب الأطفال وأرغب في الزواج، لأن الأمومة تهزمني وقضية المساواة والرجل والحرية لا تعنيني"[30].

ولقد عبرت "مريم لحيار" عن هذا الشغف الكبير للأمومة في روايتها "تحت المطر"، فتصور حلم إحدى شخصياتها في أن تكون أما، بعدما سمعت نبضات قلب أخيها الصغير داخل بطن أمها. تقول :"قلبي كما هو متعلق بذلك النبض...ذلك القلب الطري في جوف حب أبدي.."[31]. ولأن تلك الشخصية لن تقدر مستقبلا على الإنجاب ولن تستطيع تحقيق ما كانت تراه مقدسا منذ طفولتها، تصاب بإحباط.

وقد تتوتر العلاقة بين الزوجين وتزداد فتورا حين تعجز المرأة على الإنجاب، فنجها تلجأ إلى الأولياء والمشعوذين، وكل من ترجو منه مساعدة، و في هذا الشأن تقول "حياة" بطلة ثلاثية أحلام مستغانمي: "لم أعد أذكركم مرة زرت من الأطباء بتوصيات خاصة، وكم من أضرحة الأولياء أجبرتني أمي التبرك بها"[32]. وكأن المرأة وقعت بين مطرقة التقاليد وسندان الأمومة ورد الاعتبار لذاتها.

[30]- بنور عائشة، سقوط فارس الأحلام، م س، ص 163.
[31]- مريم لجيار، تحت المطر، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2014، ص 51
[32]- أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، دار الأدب ، لبنان، ط20، 2011، ص11.

عالجت الرواية الجزائرية الموضوعات الخاصة بالمرأة الجزائرية، وقد نجحت في إيصال صرختها وما تعانيه من مشاكل قد يتعذر عليها البوح بها، بسبب الضغوط التي تعاني منها، سواء داخل أسوار العائلة أو خارجها.

2-2- موضوعات عامة:

لا تكتب المرأة في نصوصها الإبداعية عن عوالمها الأنثوية الخاصة فحسب، بل تهتم أيضا بالسياسة والمجتمع والواقع، والعديد من القضايا التي تشكل متنها الروائي.

2-2-1- المرأة والسياسة والوطن:

اهتمت المرأة بالسياسة، ذلك أن وضعها الاجتماعي لا ينفصل عن الوضع السياسي العام، ومن ضمن القضايا التي طرحتها ضمن هذا المحور موضوع الوطن والثورة والاستقلال والتطلع إلى الحرية.

شكلت الثورة ولا تزال تشكل موضوعا بارزا لدى الأدباء الجزائريين، على اختلاف توجهاتهم وقناعاتهم، فتتجلى لدى الروائية "مالكي حليمة"- في رواياتها "من وحي الآلام"- في صورة مضطربة في أعين إحدى شخصياتها التي تقول: "الثورة كنت أراها في أعين الكبار الجسر الموجود، الذي إما بسلام المكبوت والترتيبات المعلنة بعيون أبي"[33]. وما أن استقلت الجزائر واستقرت الأوضاع، ازدادت مرجعية الثورة اضطرابا وبعدا عن حاضر الجزائريين وواقعهم، إذ بدأ الفساد يتفشى في البلاد، ففي رواية "نقش على جدائل امرأة" تصور "كريمة العمري" ما ألم بواقع الجزائريين السياسي قائلة: "الوطنين الذين يتقاتلون حاملين شعارات لا يفقهون ماهيتها، ويستغفلون في حملاتهم الانتخابية أولئك البسطاء...الذين لا يفرقون بين الهيئات

[33]- مالكي حليمة، من وحي الآلام، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 37.

التشريعية وبين الهيئات التنفيذية[34]". ففي ظل هذه الأجواء الانتخابية، تعكّر صفو الحياة السياسية، حيث هيمن استغلال الفئات الضعيفة والبسيطة من المجتمع مقابل وعود كاذبة.

يرتبط حديث الكاتبات عن السياسة بالوطن، الذي تقترن به صفات الوطنية والاعتزاز والفخر، هذا ما تضمنته رواية "جسر للبوح وآخر للحنين" لـ "زهور ونيسي" التي تحدثت على لسان شخصية "كمال العطال" عن تاريخ مدينة قسنطينة التي رمزت إليها بكلمة جسر، جاعلة من تلك المدينة رمزا للوطن ومدعاة للاعتزاز: "أنا هنا أنا ابني هذه المدينة، أنا ابني تاريخها المشرف، وأحلامها الجميلة، ها هنا أعود إليها اليوم وفي حلقي مرارة الغربة وغصة الاغتراب"[35]. فيبرز هذا المقطع الحنين الذي يلازم المغتربين عن أوطانهم والمحنة النفسية التي يجتازونها بعيدا عنها.

مما سبق نلاحظ أن الكاتبات الجزائريات لم يكن أسيرات ذواتهن بل تجاوزن ذلك بحديثهن عن السياسة وإدانة أصحابها، كما تحدثن عن الوطن باعتباره مرفأ الإنسان وعلة وجوده.

2-2-2- المرأة والهجرة:

صورت الأديبات في رواياتهن الأوضاع التي خلفها المستعمر في الجزائر غداة الاستقلال، حيث اضطر الكثير من الجزائريين إلى للهجرة، وهو حال شعبان في رواية "سقوط فارس الأحلام" للروائية "بنور عائشة"، حيث هاجر من وطنه هروبا من الحالة المزرية التي كان يعيشها، باحثا عن حياة آمنة عند الآخر. جاء على لسانه المقطع الآتي: "أركب قوارب الموت إلى الموت هاربا من فقري المدقع أو من متاهة البطالة بعد ما أخذ التعلم من عمري شبابه[36]".

[34]- كريمة العمري، نقش على جدائل امرأة، دار الشوق، الجزائر، 2008، ص30.
[35]- زهور ونيسي، جسر للبوح وآخر للحنين، دار زرياب، الجزائر، 2006، ص15.
[36] بنور عائشة، سقوط فارس الأحلام، م س، ص47.

ويُعد الغرب من منظور الروائيات موطنا للتفتح والحرية، وهذا ما تطلعت إليه **"بختة"** بطلة رواية سهام دويفي حين قررت الهجرة إلى فرنسا هروبا من ضغوطات زوجة الأب المحرضة لأبيها وأخيها، فتقول: "آه يا فرنسا أنا قادمة. سأتنفس هواءك، وتلفحني حرارة شمسك"[37]. فالشمس والهواء رمزان من رموز الحرية استخدمتهما الكاتبة لتعبر عن حريتها المرأة الشخصية.

2-2-3- المرأة والإرهاب:

أسهمت المرأة المثقفة المبدعة، شأنها شأن الرجل، في حراك فعال داخل المجتمع، فنقلت لنا من خلال كتاباتها، حكاياتها وظروفها الاجتماعية ومكانتها في المجتمع الجزائري، وصورت موقفها المناهض والرافض للعنف، فمثلت فترة التسعينيات من القرن الماضي باعتبارها نقلة نوعية للكثير من الصحافيات اللواتي تحولن من مجال الإعلام إلى مجال الإبداع الأدبي، مثل الكاتبات فضيلة فاروق وياسمينة صالح وزهرة ديك، وكلهن اشتغلن كصحافيات في فترة الأزمة التي عاشتها الجزائر ووقفن على بشاعة الحرب، وربما كان ذلك الحافز الذي فجر اللغة لديهن في شكل إبداع[38]، وحولهن إلى مبدعات مهتمات بالوضع الجزائري التسعيني وما بعده.

عرفت الجزائر العنف الإرهابي خلال عشرية كاملة، حيث انتشرت عدة جماعات ومنظمات ذات أفكار متطرفة، تدعو إلى التطبيق الصارم للشريعة، فصورت معظم الروايات الأعمال البربرية والوحشية الإرهابية التي طالت البلاد والعباد، وهذا ما نجده مثلا لدى الروائية "وافية بن مسعود" في رواياتها "دوار العتمة" في المقطع الآتي: "دفنوني هنا مرتين يوم قتلوا والدي برصاصة طائشة وتحولت طفولتي إلى سراب"[39]. وكشفت لنا الرواية كذلك عن شخصية عانت من وليات الإرهاب، هي شخصية "عمي طاهر"، الذي أصبح يستأنس بقبر ابنه "مالك"

[37]- سهام دويفي، بختة، مطبعة صحر، الوادي، الجزائر، 2012، ص38.
[38]- ينظر: أميمة مهدي، حنان مريم، الأزمة الجزائرية في سرد النسوي "رواية" دوار العتمة "لوافيه بن مسعود دراسة موضوعية، مذكرة الماستر، إشراف أ. يمينة بن سويكي، جامعة أم بواقي، أم البواقي، الجزائر، 2017، ص12
[39]- وافية بن مسعود، ط1، دوار العتمة، منشورات فاصلة، الجزائر، 2016، ص16.

بعد مقتله، فتأزمت نفسيته وفضل أن يقاسم الموتى آلامه وأحزانه ذلك أنها أصدق من الأحياء الذين أعدموا عالمه، وقتلوا كل فرحته. هذا ما جاء في المقطع الآتي: "اختار كل شيء جميل لكي يجعلني ووالدته أسعد ومع ذلك تكفلت سكين واحدة بوأد كل شيء، لم أستطع تركه يرحل وحيدا فتبعته كان ذلك مصيري ولم أملك فرصة لتجاوزه"[40].

وكذلك حرصت الجماعات الإرهابية على إعطاء صورة حسنة عنها للناس من أجل الانضمام إليها، فكان أفرادها يتخذون من القيم والفضيلة والشرف ما يخدم مصالحهم لتبرير جرائمهم في هتك الأعراض واستباحة دماء الأبرياء والتنكيل بهم. هذا ما تحدثت عنه "ياسمينة صالح" في رواياتها "أحزان امرأة من برج الميزان"، فصورت احتمال وقوع بيت "أم نادية"، المستعمل للدعارة، تحت قبضة الإرهابيين: "كان الجميع يعرف. سيستهدف بيتها آجلا أم عاجلا ليس لشيء سوى لأن جماعة دينية مسلمة مهما كان اسمها بحاجة إلى بيت كبيتها لتثبت إنها تدافع عن الفضيلة وعن الشرف..."[41]. وما تلك القيم سوى ذرائع تخفي نوايا القتل والإجرام.

نستنتج مما سبق أن الرواية النسوية الجزائرية قد برعت في التعبير عن المواضيع المتعلقة بالمرأة، سواء الخاصة منها أو العامة، فتحدثت الروائيات في نصوص كثيرة، عن ذواتهن وعلاقاتهن بالآخر، وكذلك تحدثن عن الثورة والوطن، فضلا عن أحداث وظواهر عديدة مرت بها الجزائر، لعل أبرزها الإرهاب.

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية وقضية العنف

اهتمت الرواية الجزائرية، كما بينا في المبحث السابق، بمواضيع عدة ارتبطت بالمرأة ومحيطها الذاتي والواقعي والاجتماعي، وفي كل قضية من تلك القضايا نجد عنصر العنف ملازما للمرأة ومقيدا لحياتها. هذا ما سيكون موضوع مبحثنا الثاني.

[40]- م ن، ص27.
[41] ياسمينة صالح، أحزان امرأة من برج الميزان، منشورات جمعية المرأة في الاتصال، الجزائر، 2003، ص77

1- تعريف العنف:

1-1- لغة:

يعرف ابن منظور العنف في معجم لسان العرب بأنه "الحزم بالأمر وعدم الرفق به وهو ضد الرفق عنف به وعليه يعنف عنف وعنافة وأعنفه وعنفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره. أما الشخص العنيف فهو: الذي يحسن الركوب، وليس له رفق بركوب الخيل وأعنف الشيء: أخذه بشدة، واعتنف الشيء: كرهه، واعتنف الأرض. أما التعنيف: التعبير واللوم والتوبيخ والتقريع"[42]. كما وردت اللفظة في المعجم ذاته على أنها: "اعتق الأمر: أخذه بعنف وفي الحديث: أن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وهو بالضم الشدة والمشقة، وكل ما في الرفق من الخير، يقال أعنفته وعنفته معناه: لا يجتمع عليها بين الجد والتوبيخ"[43]. فالعنف إذا هو انتزاع الرفق من الأمور والأقوال والأفعال والأحوال، وإظهار الشدة والقسوة فيها.

1-2- اصطلاحا:

[42]- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة عنف، المجلد الثالث عشر، دار صادر، لبنان، 1968، ص304.
[43] - م ن، ص ن.

يعني العنف في الاصطلاح "كل مبادرة تتدخل بصورة خطيرة في حرية الآخر وتحاول أن تحرمه حرية التفكير والرأي والتقدير"[44]. ويعرفه علماء الاجتماع بأنه: "فرض شيء ما بالقوة لم يستطع فرضه بغيرها أو أنه عبارة عن الممارسات التي تتضمن استخداما فعليا للقوة لتحقيق هدف عجز مرتكبوها عن الوصول إليه بغيرها"[45]. يعني أن العنف هو الحصول على شيء ما بالقوة لم يستطيع أصحابه الحصول عليها بغيرها.

وقد جاء في قاموس "علم الاجتماع" أن "العنف هو التعبير الصادر عن القوة حيث تتخذ أسلوبا فيزيقيا لضرب أو حبس أو إعدام أو بأخذ الضغط الاجتماعي وتعتمد مشروعيته على اعتراف المجتمع به"[46]. ويعرف أيضا بأنه عادة "إلحاق الأذى بالآخرين بحيث يكون هذا العنف إما ماديا أو جسميا أو نفسيا بوسائل مختلفة تسبب للمتلقي آلاما وخسائر متفاوتة"[47] . فمن خلال ما سبق يمكن اعتبار العنف هو التعبير عن القوة الجسدية التي تصدر ضد النفس أو ضد أي شخص آخر بصورة متعمدة أو مرغمة.

كما يعرفه علماء النفس بأنه "نمط من أنماط السلوك ينتج عن حالة إحباط، ويكون مصحوبا بعلامات التوتر، وتحتوي نية مبيتة لإلحاق ضرر مادي أو معنوي بكائن حي"[48]. أي إن العنف مرتبط بسلوك الإنسان، يقع نتيجة مؤثرات نفسية تهدف إلى إلحاق الأذى بالآخرين. ومن جهة أخرى، قد "يقترن في حالة الجماعات الإرهابية المتطرفة بما يرتكب ضد الشعب عامة باسم الدين الإسلامي التي ارتبطت أعمالهم بالعنف الجسدي والنفسي واللغوي، والقهر

---

[44] - معجم الوسيط، الجزء الثاني، ط3، دار عمران، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1985، ص 655.

[45] - نبيلة بلعبدي، تجليات مظاهر العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية أشباح المدينة المقتولة لبشير مفتي نموذجا، مجلة التعليمية، المجلد 09، العدد 2، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، جوان 2019، ص20.

[46]- أحمد بن دريدي، العنف بين التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية، جامعة نايف للعلوم العربية الأمنية، الرياض،2007، ص 34. نقلا عن: عادل بوزيد، العنف وسبل مواجهته. محاولة في سوسيولوجيا العنف في المجتمع التونسي، https://jilrc.com، تاريخ الإنزال: 2018/09/27، تاريخ الزيارة: 2021/06/05.

[47]- محمد سيلا، مدارات الحداثة الشكلية، العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2009، ص 189 نقلا عن: نوارة حسين، العنف وسبل مواجهته. محاولة في سوسيولوجيا العنف في المجتمع التونسي، http://jilrc.com، تاريخ الإنزال: 2017/07/25، تاريخ الزيارة: 2021/06/05

[48] - نبيلة بلعبدي، م س، ص90.

الاجتماعي أيضا"[49]. فهنا العنف لا يكون من الفرد وإنما من جماعة متطرفة تمارسه باسم أفكار تعسفية يتم إرجاعها إلى الدين.

يعرف العنف أيضا بأنه "كل أذى (مادي، معنوي) يلحق بالأشخاص أو الهيئات أو الممتلكات"[50]، كما أنه يقترن بالقوة وهذا ما إليه **جون فروند (J. Freund)** الذي يرى أنه "القوة التي تهاجم مباشرة الشخص الآخرين وممتلكاتهم بقصد السيطرة عليهم بواسطة الموت والتدمير والإخضاع والهزيمة"[51]. يقول الشريف حبيلة، من جهته، في معرض حديثه عن إشكالية العنف: "العنف إشكالية معقدة، تتجاوز البعد السياسي والاجتماعي، لتصاحب كل عمل قولي أو فعلي، يصاحب في جوهره كل ممارسة تحويلية اجتماعية كانت، أو ثقافية أو خطابية، فهو سلوك فعلي أو قولي يستخدم القوة، أو يهدد باستخدامها لإلحاق الضرر والأذى بالذات، أو بالأشخاص الآخرين، وتخريب الممتلكات للتأثير على إرادة المستهدف"[52]. ومن هنا يتضح أن للعنف عدة أشكال، المادية والجسدية والفكرية والنفسية والعاطفية، وهذا حسب نوع العنف الممارس والضرر الملحق بالمعنف.

2- العنف ضد المرأة:

تعتبر ظاهرة العنف ضد المرأة من أكثر الظواهر الاجتماعية انتشارا اليوم، والتي تتعرض لها المرأة داخل الأسرة أو خارجها، أي في المجتمع، فهي ليست ظاهرة محلية فقط بل عالمية. و"تنتشر ظاهرة العنف ضد المرأة في الشرائح والطبقات الاجتماعية كافة، فهي قضية

[49] - م ن، ص28.
[50] - م ن، ص 90.
[51] - فليب برنو وآخرون، المجتمع والعنف، ترجمة الأب إلياس زحلاوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975 ، ص15، نقلا عن: محمد خريف، العنف في الوسط المدرسي: أبعاده النفسية والاجتماعية وانعكاساته البيداغوجية. دراسة ميدانية بمؤسسات التعليم المتوسط بقسنطينة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، إشراف: أ.د. نصر الدين ليفة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008/2007، ص14.
[52] - الشريف حبيلة، الرواية والعنف، عالم الكتب، الأردن، 2010، ص11.

عالمية عربية ومحلية"[53]، فهي ليست قضية مجتمع دون آخر أو بلد دون آخر، إنما قضية عالمية تمس كل الفئات.

نشهد ظاهرة العنف ضد المرأة حتى في الدول المتطورة والنامية، كما تسود بين مختلف الفئات، سواء أكانت متعلمة أو غير متعلمة، فالمرأة تتعرض في الكثير من الأحيان في المجتمعات العربية والغربية إلى أنواع وأشكال متعددة من العنف.

المرأة في المجتمعات العربية والمغاربية مسلوبة الحقوق، ذلك أن السلطة الفعلية في تلك المجتمعات هي سلطة الرجل، تبعا للتقليد الأبوي أو الثقافة الذكورية، لهذا فالعنف ضد المرأة يمارس من قبل أفراد أو مؤسسات، كما تمارسه النساء بعضهن على بعض، وذلك لأسباب اجتماعية أو نفسية أو اقتصادية، كما أن القهر يمتد من السلطة السياسية، إلى المجتمع، إلى قهر الذات لنفسها.

نستنتج من كل ما سبق ذكره، أن الرواية النسوية الجزائرية قد اهتمت بقضايا وطنية وسياسية، وركزت على المرأة ووضعها الذاتي والاجتماعي، فوجدت الأديبة في الرواية فضاء رحبا للتعبير عن آهات المرأة التي لم تقبل بقيود المجتمع وظلمه. وعلى الرغم من العوائق التي كانت تواجهها الروائيات الجزائريات في بدايتهن إلا أنهن تصدين لها، وأثبتن بأنهن قادرات على الإبداع والعطاء، وتصوير ما يعانيه المجتمع. فتوالت روايات نسائية تفوح برائحة العنف والموت، انعكست فيها بقوة هموم المرأة التي كانت ضحية عنف الفرد والمجتمع، والعادات والتقاليد الاجتماعية، وضحية أعمال العنف والقتل التي استهدفتها وهددت حياتها في مرحلة التسعينيات.

3- أشكال العنف ضد المرأة:

[53] - سناء محمد سليمان، مشكلة العنف والعدوان، https://www.neelwafurat.com، تاريخ الإنزال: 11/05/2021، تاريخ الزيارة: 2021/06/05.

تشهد المرأة عدة أشكال من العنف، وغالبا ما تمارس عليها مجتمعة في فعل واحد، وسنشير- فيما يلي- إلى أبرز تلك الأشكال وآثارها على المرأة بوجه خاص:

3-1- العنف الجنسي:

وقد عرفته سناء محمد سليمان بأنه "اللجوء (الآخر) إلى الاستدراج بالقوة والتهديد، إما التحقيق الاتصال الجنسي مع الفتاة أو استخدام المجال الجنسي في إيذائها، مثل التحرش الجنسي، الشتم بألفاظ جنسية نابية، والهجرة من قبل الزوج، أو الإجبار على ممارسة الجنس، والإجبار على القيام بأفعال جنسية لا تحبها المرأة"[54]. فالعنف الجنسي مرتبط ومتعلق بالمرأة خاصة، وذلك باستخدام القوة أو التهديد من طرف الرجل وذلك بإجبارها على فعل شيء لا تريده.

ويعتبر العنف الجنسي المنزلي أكثر انتشاراً من العنف الجنسي الناتج عن النزاعات، فيعتقد المتزوجون في كثير من الأحيان أنّ تصرّفهم بإجبار شركاء حياتهم على القيام بأعمال جنسيّةٍ معيّنةٍ مشروع لأنّهم يمارسونها مع أزواجهم.

كما يتمثل العنف الجنسي في شكل الاغتصاب الذي "يعني ممارسة الجنس والاتصال الجنسي بالقوة دون موافقة الطرف الآخر"[55]. وهذا ما نشاهده في معظم الروايات النسوية إذ تصف وتصور هذه المعاملة من طرف الزوج .

ويشكل الاغتصاب أخطر أشكال العنف الموجه ضد المرأة، وذلك لوجود أضرار نفسية عميقة على الضحايا المعنفات،" إذ أن العنف في هذه الحالة يصيب المرأة في أشد خصوصياتها وله انعكاسات خطيرة على الفرد والمجتمع عموما"[56]، فلا تمر حادثة الاغتصاب هكذا على

---

[54] - مجلة التعليمية، المجلد06، م س، ص 92.

[55] - عبد الرحمان العيسوي، العنف الأسري، دراسة نفسية، مج05، ط1، دار الراتب الجامعية، لبنان، 2004، ص11.

[56] - نور الهدى باديس، دراسات في الخطاب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار فارس لنشر والتوزيع، بيروت، 2008، ص131.

جسد المرأة كحادثة مزعجة، وإنما لها آثار خطيرة على مستوى الحياة الاجتماعية والنفسية والأسرية.

سلطت الروائيات الجزائريات الضوء على هذا النوع من العنف، فأظهرن المرأة بوصفها جسدا يستلذ به الزوج ليس إلا، ويشبع شهواته الجنسية، متجاهلا أنها شخص وكيان ووجود.

3-2-العنف الجسدي:

تحدثت الكثير من الروائيات في أعمالهم الإبداعية عن هذا النوع من العنف، فقد لا نجد عمل يخلو منه، فآليات العنف الجسدي كثيرة. "وهو من أخطر أشكال العنف انعكاسا على الحالة النفسية، وأشد مظاهر العنف وأبرزها، ويتراوح من أبسط الأشكال إلى أخطرها وأشدها مثل: الضرب، شد الشعر، الصفع، الدفع، المسك بعنف، والخنق"[57]. فنستنتج أن كل ما يلحق الضرر بجسد الآخر عمدا وبقصد يعتبر عنف مهما كانت الطريقة التي يستخدمها.

ويعرف أيضا العنف الجسدي أو البدني "هو استخدام القوة الجسدية من قبل أي شخص من شأنه أن يترك آثارًا واضحة، ويتسبب في أضرار جسدية للطرف الآخر، ويتضمن: الضرب والشد والعض والركل وإحداث الكسور والحروق وغيرها، وكذلك المنع من الطعام والشراب [58]. ويعتبر العنف الجسدي أكثر أنماط العنف الأسري شيوعًا فالعنف الجسدي الممارس ضد المرأة يمارس داخل الأسرة بكثرة ويتمثل في استخدام القوة ضدها مما يترك أثار جسمية عالمة على جسدها.

فالمرأة نجدها في الكثير من الأحيان معنفة من طرف الرجل، فلا تستطيع أن تدافع عن نفسها أمام مجتمع يدعم كل ما هو ذكوري حتى وان كان تصرفه مناقض للقيم الإنسانية وهذا ما

[57] - سناء محمد، مشكلة العنف والعدوان، م. س. ص56.

[58]- هند محمود، شيماء طنطاوي، نظرة للدراسات النسوية، ويكي الجندر https://genderiyya.xyz/wiki/ ، تاريخ النشر:06/12/2017، 13:18، تاريخ الزيارة: 05/01/2022، 20:13.

أشارت إليه هنية مشقوق في قولها: "إن العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية من أهم الأطر الثقافية التي تقدم على تعنيف المرأة وتقدّم تبريرا لذلك، فضلا عن القيم الثقافية الذكورية التي أعلت من قيمة الرجل وعاملت المرأة بدونية وسلبتها دورها وحقها في الحياة مما ساعد الرجل ودعمه على ممارسة العنق ضده"[59]. فالعادات والتقاليد تبرر فعل العنف الجسدي الذي يمارسه الرجل (بصفته أبا، أخا، زوجا، خالا، أو عما) على المرأة، بذريعة امتلاكه الحق في التصرف معها مثلما يريد، إسهاما منه في تربيتها وتأديبها وتحسين سلوكها، ويبرر فعل الرجل بالنظرة الدونية الموجهة إلى المرأة باعتبارها دوما قاصرا، فضلت بذلك حبيسة العادات والتقاليد البالية، التي يمارسها الرجل على حريمه ، مهما كانت صفته ودرجة القرابة.

يفرض الذكر سلطته على الأنثى في المجتمع الجزائري باعتباره مجتمعا ذكوريا، ولو كانت أرفع شان منه، فهو يمثل السلطة داخل الأسرة، هو الآمر والناهي على المرأة، وكل رفض لسلطته يواجه بالعنف الجسدي بشتى أشكاله، ولا يطال هذا العنف المرأة البالغة وحدها بل حتى الأطفال، ونجد بعض الحالات لأطفال معنفين رضع.

3-3- العنف النفسي:

نجد العنف النفسي حاضرا في العديد من الروايات النسائية الجزائرية ذلك لما عاشته المرأة الجزائرية، وما تزال تعيشه، من أوضاع مزرية يطبعها العنف أثرت على نفسيتها.

فيعرف العنف النفسي أو الإساءة الانفعالية انه " شكل من أشكال الإساءة وسوء المعاملة، يوسم به الشخص الذي يُخضع غيره بسلوك قد يتسبب له بصدمات نفسية، بما في ذلك القلق، أو الاكتئاب المزمن أو اضطراب كرب ما بعد الصدمة، أو يكون سبباً في تعريضه لذلك. وكثيراً ما يرتبط هذا العنف بحالات من اختلال توازن القوى، مثل العلاقة المسيئة، والتنمر والاعتداء

[59]- هنية مشقوق، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مجلة المخبر، م. س. ص 267.

على الأطفال والعنف في مكان العمل. كما يمكن أن يرتكبها أشخاص يمارسون التعذيب أو غيره من أشكال العنف أو الإساءات لحقوق الإنسان الشديدة أو الممتدة، لاسيما دون تعويض قانوني مثل الاحتجاز دون محاكمة والاتهامات الكاذبة والإدانات الكاذبة والتشهير المغالى فيه مثل ما ترتكبه الدولة ووسائل الإعلام[60]. فمنه نستنتج ان العنف النفسي هو كل فعل يقام به ويسبب لطرف الآخر صدمات نفسية بأنواعها المختلفة

وتحدثت مرفت تلاوي عن العنف الفسي ذلك "العنف الذي يتم من خلال القيام بعمل معين، أو الامتناع عن القيام به وهذا وفق مقاييس مجتمعية ومعرفة علمية للضرر النفسي، وقد تحدث تلك الأفعال على يد شخص أو مجموعة من الأشخاص الذين يمتلكون القوة والسيطرة لجعل الفرد متضرر مما يؤثر على وظائفه السلوكية والوجدانية والذهنية"[61]. فالعنف النفسي هو كل ما يؤثر على الإنسان سلوكيا وعاطفيا وذهنيا وقد يكون من شخص أول مجموعة من الأشخاص.

ويطلق العنف النفسي على الحالة النفسية التي تنتاب شخص ما، كالكآبة والاكتئاب، وهي حالة الشعور بالحزن والقلق والتشاؤم من كل شيء. وقد يمارس هذا العنف ضد المرأة فيعرف على أنه "السيطرة على المرأة أو عزلها، وإذلالها أو إحراجها، ويشمل التعرض للسب أو الشعور بالإهانة الإذلال أو التقليل من القدرة أمام الآخرين، التهديد أو التخويف بطريقة مقصودة"[62]. فالمرأة ضحية لهذا النوع من العنف وذلك لما تقوم به السلطة الذكورية أو المجتمع كإعطاء قيمة لذكر وإباحة كل أفعاله الشنيعة، في المقابل المرأة تعيش قي خوف وتهديد، إذ تجدها تخاف أن تقدم رأيها إذ دائما قبل أن تقوم بخطوة تراجع العادات والتقاليد وتتخيل الناس وموقفهم اتجاهها. وهذا ما نجده تتحدث عنه جل الروايات النسوية الجزائرية.

---

[60]- موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، عنق النفسي، https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title= ، تاريخ النشر :2021/05/05، 15:28، تاريخ الزيارة: 2022/01/05.

[61] - أمل عبد الفتاح محمد، القضايا والمشكلات الاجتماعية المعاصرة، دار الكتاب الجامعي،14 /2014/08، ص 185-186.

[62] -غادة محمد الشريف، نقلا عن مرفت تلاوي، العنف ضد المرأة، المصري اليوم https://www.almasryalyoum.com/news/details/872768 ، تاريخ النشر: 2016/11/12، 20:48، تاريخ الزيارة، 2022/01/05، 10:37.

3-4- العنف اللفظي:

العنف اللفظي، الذي غالبًا ما يُطلق عليه أيضًا الإساءة اللفظية، هو مجموعة متنوعة من العنف، والتي تشمل مجموعة كبيرة نسبيًا من السلوكيات، بما في ذلك الاتهام والتقويض والتهديد اللفظي، والأمر، والتهويل، والنسيان المستمر، والإسكات، واللوم والاتصال بالأسماء علانية ينتقد."[63] فهذا العنف الفظي يشمل كل ما يلفظ فيحدث أثرا على الأخر.

ويعد العنف اللفظي متوافق مع أشكال أخرى من العنف، بما في ذلك العنف الجسدي والعنف النفسي "فعلى سبيل المثال، نجد في معظم سلوكيات التنمر جميع أشكال العنف الثلاثة، ويبدو أن العنف اللفظي هو الشكل الأساسي للعنف ضد التنمر، أي لا يمكن أن يكون لديك تنمر بدون تهديد لفظي[64]. فهنا جاء العنف النفسي يصاحب العنف اللفظي.

والعنف اللفظي هو من أكثر أنواع العنف شيوعا بين أفراد المجتمعات، إذ "يعد أكثر أنواع العنف خطرا على الصحة النفسية للفرد المتعدى عليه، بالرغم من أنه لا يترك آثارا مادية واضحة للعيان إذ يقف عند حدود الكلام والإهانات، وهو أكثر أنواع العنف شيوعا في المجتمعات الغنية والفقيرة على حد سواء، يتمثل في السخرية والتوبيخ والتهديد وكل ما يجرح المشاعر ويلحق الأذى النفسي أو الاجتماعي[65]. منها نستنتج أن كل ما يسبب أذى على الآخر يعتبر عنف لفظي، فهذا النوع من العنف لا يترك أثرا واضح وظاهر للعيان لأنه يمارس كلاميا فقط.

3-5- العنف المالي، الاقتصادي:

---

[63] ماهو العنف اللفظي، المرسال www.almrsal.com/post/908315 ، تاريخ اخر تحديث: 06/12/2021، 11:26، تاريخ الزيارة:05/01/2022، 21:59

[64] - م ن، ص ن.

[65] - سناء محمد سليمان، مشكلة العنف والعدوان، ص70.

إن دخول المرأة إلى ميدان العمل يثير جدالا كبيرا في المجتمعات العربية، كما هو الحال في بعض المجتمعات الغربية، ولقد أطلقت المرأة منذ بداية القرن الماضي صرخات ونداءات مدوية تطالب فيها بالحرية، لتحظى مع مرور الوقت ونضال متواصل، بدور فعلي لها في المجتمع. إن هذا الحق الذي تتمتع به اليوم هو وليد كفاح قديم، وبعد أن نجحت في دخول ميدان العمل فظهر عنف جديد يمارس ضدها فأصبحت " قضية راتب المرأة قضية حساسة ومؤثرة تهدد استقرار واستمرار العديد من الزيجات، انتهت في حالات كثيرة بالطلاق، فيشير العديد من الدارسين بأن الطلاق في بعض الأحيان كان سببه تنازع الزوجين على الراتب"[66] فشاهدت المرأة مشكلة جديدة وهي تسلط الزوج على راتبها الشهري. وبذلك لم تنتهي معاناة المرأة المعاصرة قط ، بل أخذت مظاهر جديدة، فالمرأة التي انتصرت في دخول ميدان العمل، تدفع ثمن إنجازها هذا، فهي تواجه العديد من المشاكل، ومن أبرزها مشاكلها مع زوجها بسب الراتب الشهري وكيفية إنفاقه، وهي ضريبة أخرى تدفع المرأة ثمنها على حساب سعادتها.

المرأة في المجتمعات العربية والمغاربية مسلوبة الحقوق، ذلك أن السلطة الفعلية في تلك المجتمعات هي سلطة الرجل، تبعا للتقليد الأبوي أو الثقافة الذكورية، لهذا فالعنف ضد المرأة يمارس من قبل أفراد أو مؤسسات، كما تمارسه النساء بعضهن على بعض، وذلك لأسباب اجتماعية أو نفسية أو اقتصادية، كما أن القهر يمتد من السلطة السياسية، إلى المجتمع، إلى قهر الذات لنفسها.

نستنتج من كل ما سبق ذكره، أن الرواية النسوية الجزائرية قد اهتمت بقضايا وطنية وسياسية، وركزت على المرأة ووضعها الذاتي والاجتماعي، فوجدت الأديبة في الرواية فضاء رحبا للتعبير عن آهات المرأة التي لم تقبل بقيود المجتمع وظلمه. وعلى الرغم من العوائق التي كانت تواجهها الروائيات الجزائريات في بدايتهن إلا أنهن تصدين لها، وأثبتن بأنهن قادرات على الإبداع والعطاء، وتصوير ما يعانيه المجتمع. فتوالت روايات نسائية تفوح برائحة العنف

[66] - تجليات النسق الأنثوي في رواية "تشرفت برحيلك"، م. س. ص 34-35.

والموت، انعكست فيها بقوة هموم المرأة التي كانت ضحية عنف الفرد والمجتمع، والعادات والتقاليد الاجتماعية، وضحية أعمال العنف والقتل التي استهدفتها وهددت حياتها في مرحلة التسعينيات

الفصل الثاني

المبحث الأول: أشكال العنف وتجلياته

جاءت الرواية الجزائرية معبرة عن الوضع الراهن في البلاد، ومسايرة له كغيرها من الأجناس الأدبية الأخرى، إذ نجد في النصوص الروائية التي تحيل إلى فترة التسعينات، صورة حية للواقع الذي عاشته الجزائر إبان فترة العشرية السوداء، حيث "كانت الأزمات تتوالى ولم يكن الروائي ببعيد عنها، فقد شكلت مادته الخام التي انطلق منها ليعبّر عن واقعه المأزوم، فانعكس هذا الواقع على تجربته الروائية التي واكبت المرحلة وحاولت الاقتراب من الواقع وتفسير الأزمة واندلاع العنف في الجزائر"[67]، ولم يكن بمقدور الأديب الجزائري تجاهل تلك المرحلة العصيبة وهي في ذروتها، ولا بعد انقضائها.

1. العنف السياسي:

تعد زهرة ديك من بين الروائيين الذين التزموا بواقع تلك المرحلة المريرة، إذ تشكل نصوصها مرآة عاكسة للوضع الذي آل إليه الوطن آنذاك، وما صاحبه من انقلاب أمني رهيب، ذهب ضحيته آلاف الجزائريين من كل الفئات الاجتماعية، فغدت أعمالها الروائية شاهدا على العنف السياسي الأيديولوجي.

يجدر الإشارة إلى أن العنف السياسي هو ذلك "العنف الموظف لغرض تغير سياسي معين، أو الحصول على مكاسب سياسية، بما في ذلك تغير حكم قائم أو قلبه"[68]، فهو بذلك يتجلى في شكلين: عنف السلطة أو الدولة، ويشمل الممارسات التي تعتمدها الدولة لفرض نظامها والحفاظ عليه؛ وعنف الجماعات المعارضة لهذه السلطة. سنحاول فيما يلي البحث عن تمظهراتهما في رواية "بين فكي وطن" لزهرة ديك:

1-1- عنف السلطة:

طرحت الرواية قضية العنف السياسي الذي شهدته الجزائر في مرحلة التسعينات، سواء ذاك الصادر عن السلطة، بكل هيئاتها ومؤسساتها، أو الذي ينتج عن فعل الجماعات والجهات المناهضة للسلطة، فالفساد، كما جاء في الرواية، يعم البلاد في شتى مجالاتها، إذ اختلطت

[67]- جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2007، ص 76.
[68]- مصطفى التير، العنف العائلي، أكايمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1997، الرياض، 1997، ص79

الأمور واضطربت الأحوال، فلم تعد ثمة جهة صالحة، فلا السلطة ولا المعارضة تمكنتا من السيطرة على الوضع، ولم يحصل كلاهما على ثقة الشعب.

عكفت "زهرة ديك" على كتابة الواقع وتمثيل الصراع الفكري الإيديولوجي في الجزائر، الذي تمخضت عنه مأساة فظيعة هزت ربوع الوطن، فقد صورت التقلبات السياسية والاجتماعية في الجزائر وما تبعها من جرائم في حق الإنسانية تلخصت في أعمال القتل والتفجير والاعتقال والاختطاف.

وقد استثمرت رواية "بين فـكي...وطن" كثيرا من الأحداث الواقعية، فالساردة تشير إلى ما يجري في الساحة السياسية من انفصام واشتقاق، وفساد السلطة،فجاء على لسان البطل عمر في المقطع الآتي: "لن ينوبكم شيء أكثر من ذلك مطالبكم يا أساتذة يا كرام لن تصل إلى أي أذن... ببساطة لأن المتحكمين في أزمة الأمور وأصحاب القرار الفوقي لا آذان لهم. إنهم بشر مثلنا إلا أنهم تنازلوا عن آذانهم يوم تملكوا السلطة على الشعب وقبلوا الجلوس على كرسي الحكم... وإذا ما تعلق الأمر بما طلب ذويهم وأحبابهم أو مطالبهم الذاتية كيف يتصرفون وكيف تصل لهم الذبذبات الصوتية وهم بغير آذان؟... في مثل هذه الحالات أفواههم هي التي تتولى وظيفة الجهاز السمعي فيصير لها عندئذ وظيفتان في وظيفة سمعية-أكلية." [69]

يكشف هذا المشهد عن العنف الذي يمارسه المسؤولون وذووهم الذين استباحوا أموال المواطنين، وجعلوا البلاد تتخبط في الفتن، ولا يهمهم أمر رعاياهم، بل يسعون لإشباع مصالحهم الشخصية، وملء جيوبهم.

وتنبه الروائية في مقطع آخر إلى تحالف سلطوي خطير: "قرب موعده مع فائق ليكمل معه بعض الإجراءات لاستلام البضاعة الجديدة التي كادت أن تحجز لو لم يستنجد فائق كعادته في مثل هذه المواقف بأحد كبار المسئولين الذي تعود على تخليصه "طريقة ما" من مثل هذه الورطات التي يتعرض لها عندما تكون بضاعته المستوردة موضع تحقيقات جمركية... معرفة مثل هؤلاء الرجال الكبار مهمة وضرورية بالنسبة إلى فائق فهي التي تفتح له الأبواب الموصدة وتلين له الرؤوس والقلوب وتخفض له أجنحة الرحمة لدى الجمارك... فمعارف النجدة كما يسميها تعد الدرع الواقي من أعين القانون... ومن فضول رجال البوليس كما أنها تغني عن الكثير من اللف والتعب... والحمد لله فان فائق عرف كيف يحصن نفسه بشبكة متينة من هؤلاء الكبار الذين يحيطونه بالرعاية الكاملة والسهر الدائم على تسهيل أموره التجارية وكيف

[69]- زهرة ديك، بين فكي... وطن، منشورات التبيين/ الجاحظية، الجزائر، 2000، ص. ص15-16.

لا فبعضها من أمورهم"[70]. يحيل هذا المقطع إلى عنف سلطوي من خلال إسناد أفعال السرقة والنهب واحتكار الأموال إلى العاملين بها، فاللصوص هاهنا ليسوا لصوصا عاديين، وإنما هم العاملون على الحماية، كالسياسيين ورجال البوليس، إذ يسمحون بتجارة وتهريب الممنوعات باعتبارهم مستفيدين من حلفائهم من كبار التجار.

تعرض الروائية أشكال العنف التي تستخدمها السلطة بين النقابات حيث يسعى كل طرف للسيطرة والهيمنة على الحكم. هذا ما يتجلى في المقطع الآتي: "أحس عمر بالتخفيف من إحساسه بالورطة بعد أن انسحب من النقابة... إنه لا يجيد بيع الكلمات ولا يتقن تعليب الريح ولم يعد بإمكانه أن يغالط نفسه أكثر مما غالطها ولا أن يوهمها أكثر مما أوهمها... كلهم مندسون– انتهازيون- وصوليون يستغلون قناع النقابة من أجل تحقيق مآربهم والوصول إلى مطامعهم"[71].

حرصت الروائية، من خلال المقطع السابق، على إبراز الصراع الذي كان قائما على السلطة، بين أطراف شتى في مرحلة التسعينات، وقد بلغ هذا الصراع أقصاه، حيث تسابق أصحاب النفوذ على السلطة وعلى الثروات، ما جعل البلد يهيم في فوضى عارمة راح ضحيتها المواطن العادي الذي أحس باغتراب في وطنه.

2-1- الارهاب:

تحدثت الرواية الجزائرية عن العشرية الدموية المليئة بالمواجع والمآسي واستمدت مادتها الحكاية من مجريات الواقع في هذه الفترة، ويعدّ الإرهاب الظاهرة الرئيسية التي ارتكز عليها غالبية الروائيين الجزائريين، حيث صوّروا دوامة العنف التي دخلت الجزائر فيها، والتي كان الشعب ضحيتها الأولى، فمعظم الأحداث الروائية تدور في خضم تلك الصراعات التي احتدمت بين أبناء الشعب وتسببت في هز القواعد الاجتماعية والسياسية للبلاد. ومن المقاطع الدالة على ذلك في رواية "بين فكي وطن"، المقطع الآتي: "أن أعمل في وطني معناه أني خاضع لسلطة حكومته... ألهذا يقتل الأستاذ والصحافي ورجل الثقافة والفنان والشرطي والمدير والطبيب والمحامي والعسكري والمرأة التي تسير في الشارع عارية الرأس والفتاة التي ترتدي بنطلون"[72]. وفي موضع أخر نصادف المقطع الآتي: "اهتز له كامل كيانها حيث تذكرت مصاب صديقتها التي قتل حبيبها أمس حيث هجم عليه مسلحون أربعة وجروه إلى الغابة المجاورة وربطوه إلى جذع شجرة ففقعوا عينيه اقتلعوا أذنيه ضربوا القبعة أولا بحد السيف ثم

[70]- م .ن، ص178.
[71]- زهرة ديك، م س، ص54.
[72]- م س. ص43.

حزوا الرأس كله ودحرجوه على التل المجاور وركضت الجمجمة... قتلوه لأنه يحمل قبعة شرطي يخدم الدولة ..العدو التي تسبب في حرمانهم ونكدهم إنه عميل خائن... متورط في عملية تجويعهم وتفقرهم فوجب قتله.."[73].

نرى هاهنا الصدام القائم بين الحكومة والجماعة الإرهابية، فكل من يعمل لدى الحكومة، مهما كان القطاع الذي ينتمي إليه، معرض للقتل والاغتيال، وبذلك أصبح الإرهاب يثير الرعب بشتى الوسائل والاساليب، ويتربص كل من يمت إلى السلطة بصلة، حتى أصبح المواطن يفكر في هجر بيته وأولاده، أو تغيير جنسه، وهذا ما تجلى في الرواية في صورة الشخص الذي غلبه الخوف واستولت عليه الوساوس، بعد أن قتل ابن جاره أباه لأنه يعمل في مصلحة حكومية، وبالتالي فهو مهدد أيضا: "وانتابه المخاوف وأصبح يشك في كل الناس وكل من حوله ولسوء حظه أنه هو الآخر يعمل عند الحكومة. هجر بيته وأولاده وأخيرا قرر هجر نفسه والبحث عن جنس آخر وليس أن يكون جنس أنثى.... المهم ألا يكون جنس ذكر... فبات يبحث عن جنس آخر أي جنس على ألا يكون ذكرا ولا مانع لديه إن كان حيوانا أو طائرا أو شجرة في حديقة مصونة ..."[74]. يشخّص هذا المقطع آلة الارهاب التي استفحلت في الساحة الوطنية، حتى أصبح المواطن الجزائري يخشى أقرب الناس إليه، ويتمنى من شدة الخوف أن يتحول إلى مخلوق آخر غير البشر، لينال بعض الأمن المسلوب منه ويسترد بعض حقه في الحياة.

2- العنف الاجتماعي:

لقد عرضت الرواية الجزائرية الواقع المرير الذي شهدته البلاد وصورت القضايا التي كان المجتمع الجزائري يعيشها، كالفقر، والبطالة، والحرمان، والفتنة التي ولّدت جرائم القتل والاغتصاب والتهديد والاختطاف، وخلقت أجواء الخوف والرعب في النفوس، وزرعت الشك واليأس في القلوب. سنحاول أن نرصد، في هذا العنصر، بعض تجليات العنف الاجتماعي في رواية زهرة ديك:

2-1- الإرهاب في المجتمع:

وجدت الذات الجزائرية المقهورة نفسها إزاء عنف لا يرحم، حيث خيم الإرهاب على مختلف أرجاء البلد، فتلقى المجتمع ضربات قاسية في امنه وحياته وعاداته ويومياته. هذا ما

[73]- م ن، ص52.
[74]- م س. ص.127- 128.

يفيدنا به المقطع الآتي: "سنتان ونصف وقلب المدينة مسكون بالرعب كل المؤشرات تؤكد أن مارد الموت تمكن من العربدة والجري في كل الأزقة والأحياء يقفز بجنون ويعبث بكل شيء بأشجارها وأحجارها ينشب مخالبه في رقاب الخلق ويلاحقهم في كل مكان ... وزمان... لا تفهم شيئا لا تعي شيئا، كل ما تتمناه أن تبقى على قيد الحياة... ولا تقع بين مخالب مارد الموت ويكفي أن تضبط في هذه المدينة متلبسا بالحياة ليحكم عليك سفاحوها بالهلاك حالا. هكذا أصبحت تسير الأمور منذ أن التهب فتيل الفتنة وشب الصراع الدموي على احتلال سده الحكم فتحولت هذه الأرض في لمح البصر إلى أكبر دار لدعارة القتل ..."[75]. وفي مقطع آخر: "منذ أن انتشرت لعبة الموت قاذفة برؤوس الخلق في شباك الدمار المنصوبة في كل مكان لقد فسح المجال لعربيد الخوف وسمح له أن يستقر في قلب المدينة ويحتل باقي الخلق .. الكل بات مهووسا بموضة الخوف بمختلف صراعاته ..."[76]. يتضمن هذا المقطع عبارات تدل على هول ما ألم بالمجتمع الجزائري جراء إرهاب استهدف عامة أفراد الشعب، وعمل على ترهيبهم، وزرع الرعب في نفوسهم.

تضمنت الرواية مقاطع أخرى تُظهر مقدار تنامي العنف الإرهابي وتفشيه في أوساط المجتمع، ومن ذلك ما ورد في المقطع الآتي: "الساعة بعد منتصف الليل والرصاص لم يسكت بعد.. ودقات طبول الذعر والفزع في تزايد مجنون وأخيرا ظهر وجه النهار شاحبا حزينا وأطلت العيون وكأنها لم تنم منذ ألف عام ..."[77]. يصور المقطع الحالة النفسية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري يوميا، فلم يكن الليل مختلفا عن النهار في أعين الناس، ذلك أن الجرائم والمآسي لم تكن تحدها حدود الزمان والمكان.

2-2- العنف الطبقي ومخاطره:

يتجلى العنف الاجتماعي في الصراع الذي ينشا ويحتدم بين الطبقات الاجتماعية، و"الصراع الطبقي في جوهره صراع سياسي، يعبر عن نزوغ الطبقات والفئات الاجتماعية والأفراد نحو السيطرة، ولقد ظهر تاريخيا في ثلاثة أشكال رئيسية هي: الشكل السياسي، الشكل الإيديولوجي والشكل الاقتصادي، يضيف "بولنتزاس" شكلا رابعا هو الشكل النظري. لقد ساد الشكل السياسي بصفته شكلا رئيسيا للصراع الاجتماعي خلال مرحلة طويلة من تطور المجتمع

[75]- زهرة ديك، م س، ص. ص15-16.
[76]- م ن، ص. ص17-18.
[77]- م ن، ص.177.

الإنساني"[78]. وغداة استقلال الجزائر، صعدت طبقة سعت للاستحواذ على أملاك المعمرين والسطو على الأراضي الفلاحية، فأدى هذا الأمر إلى اتساع الفجوة الاجتماعية بين فئات المجتمع ومختلف شرائحه، ما تسبب في حدوث انشقاق في المجتمع الجزائري، وتزايد المشاكل، تجلت في "مظاهر عدة مثل: الرشوة، المحسوبية، روح الاتكال، والمضاربة"[79]. ومما يحيل إلى هذه المظاهر في رواية "بين فكي وطن"، شخصية "فائق" التي تتجلى في كلامها علامات الانتماء إلى الطبقة الانتهازية:

"لا عليك دعها كما تشاء ارمها إن شئت فهي لم تعد تليق بك إنك مقبل على حياة جديدة وبعد بضعة أيام فقط تصبح من أصحاب الأموال ومن الرجال المهمين، ولا وقت لديك الآن إلا للتفكير في إبرام الصفقات، وإمضاء الاتفاقات والتعامل مع رجال الأموال ستركب أفخر السيارات... ولم يفق عمر من سكرة تأملاته إلا على صوت فائق وهو يقول له بلهجة منتصرة: هنيئا لك بأول صفقة وهنيئا لك بالنجاة من حياة الكتب والأوراق ونكد الجامعة ومرحبا بك شريكا في عالم الرجال والمال والنفوذ"[80].

وفي موضع آخر وردت مقارنة أجراها بطل الرواية "عمر" بين بيت رفيقه "فائق" الراقي وبيت عمته وبيته هو: "رحب به فائق بصفة مقتضبة لم يتفطن إليها لانبهاره بالشقة الفاخرة وبأثاثها الفخم وفراشها الأنيق... كل ما فيها يلمع ويتلألأ للأعين معلنا عن الراحة المادية التي يرتع فيها صاحبها...ولا يدري عمر لماذا حضرته في تلك اللحظات صورة بيت عمته-خلية النحل العقيم..التي قضى فيها مرحلة من عمره وفارت في منخاريه رائحته الزنخة التي ولدتها أكوام القش واللحم المكدس في كل أركانه ولم لكم تفاجأ حين اكتشف أن أغلب ذكرياته المريرة في ذلك البيت قد بهتت ولم يبق منها إلا قليلها عالقا بأصابع رجليه التي تشنجت فجأة وكأنها تريد البوح بسر خطير صورة بيته الصغير إلا أنه خجل وكأنه يواجه لأول مرة حقيقة وضعه ومدى تردي مستواه الاجتماعي"[81]. وتظهر أيضا علامات الطبقية في حوار "عمر" مع

---

[78]- منذر خدام، الصراع الطبقي وأشكاله، الحوار المتمدن، العدد 772، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=15777، تاريخ الإنزال: 2004/03/13، تاريخ الزيارة: 2021/08/13.

[79]- عنصر عياشي، سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر، ط1، دار الأمير للطباعة والنشر، القاهرة، 1999، ص. 44، نقلا عن: عثمان فايزة، ظاهرة العنف في الرواية الجزائرية من 2000 إلى 2013. مقاربة بنيوية تكوينية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، إشراف أ.د نور الدين صدار، جامعة معسكر، الجزائر، 2015-2016، ص. 07

[80]- زهرة ديك، م س، ص. ص140-141.

[81]- وهرة ديك ، م س، ص121.

"فائق" التي ارتأينا أن نورده رغم طوله: "وما أن وقعت عيناه على محفظته المتآكلة التي كانت لصق رجل الكرسي الذي يجلس عليه عمر حتى ابتسم ابتسامة ماكرة وقال:

مازلت أستاذا

وماذا تريدني أن أصير. رد عمر بشيء من الاستغراب.

- يظهر أنك تعشق المحاضرات والمدرجات وإلقاء الدروس عن التاريخ والحضارات..؟

كان عمر ينصت إليه بدهشة. سرعان ما زالت حين تذكر روح الدعابة التي كثيرا ما تجلت بها نقاشاته مع فائق فيما سبق.

فأجابه.. نعم مازلت أعشقها لأني لا أستطيع أن أعشق سوى ذلك... وسارع فائق للقول.. أفهم من هذا أنك اختزلت حياتك ومصيرك في هذه المحفظة المملوءة بالأوراق والأقلام وحزم من شيكات الفقر وقبض الريح ستظل تجري وراءه طوال حياتك... أحس عمر بوخز هذا الكلام ينقر قلبه نقرا ... وحاول أن يداري هذا الإحساس بقوله.. أرى أنك أصبحت من كبار رجال الأعمال... عن قريب سأصبح أكبرهم جميعا... رد فائق بلهجة فخار واضح... وواصل .. أسمعت عن المخبرة الكبيرة العصرية التي فتحتها وسط المدينة؟.. ومصنع الأحذية الرياضية المخصصة للتصدير وشركة المعلبات الساحلية التي اشتريت أغلب أسهمها في المدة الأخيرة.. ودون أن ينتظر جوابه.. عن له أن يخفف الوطء عنه قائلا.

...ألم تفكر في تغيير في تغيير سيارتك؟.. صارت قديمة أليس كذلك؟.. لقد لاحظت هدير محركها المزعج.. ودون اهتمام كبير رد عمر.. ربما.. قد أغيرها في المستقبل إن شاء الله.

ضحك فائق بشماتة كأنه يقول له أي مستقبل تقصد... مثلك ليس له سوى الجحيم ليعيش فيه.. وأنا الذي سأقودك إليه..."[82].

إن التفاوت الاجتماعي الذي يُفرض على أغلبية أفراد المجتمع الجزائري، خاصة الفقراء منهم، هو المتسبب المباشر في العوز والحاجة، وهو ما دفع بالمواطن الجزائري إلى سلك طرق مظلمة، والدخول في أعمال مشبوهة وغير شرعية، مثل ما حصل مع البطل "عمر"، الأستاذ الجامعي الذي تخلى عن وظيفته، بسبب زهد راتبه، ودخل في أعمال حرة مع ديقه "فائق"، ليجد نفسه من تجار الممنوعات.

[82] - زهرة ديك، م س، ص. ص95-96.

من خلال المقاطع المقدمة، يمكننا القول إن رواية "بين فكي وطن" الجزائرية رواية أزمة، مثلت بعض مظاهر العنف المتجلية في فترة التسعينات، وانعكاساته السلبية على المجتمع الجزائري، وإن كانت هذه المسائل من وحي متخيل الروائية، إلا أنها تقدم مشهدا حيا لما وقع في الجزائر خلال فترة عصيبة من القرن الماضي، ومن تاريخها المعاصر.

2-3- العنف ضد المرأة:

لقد أظهر نص زهرة ديك الروائي المرأة انطلاقا من وجهات متعددة تصورها ضحية القهر الاجتماعي، فضلا عن معاناتها من ويلات العشرية السوداء، ويظهر ذلك جليا في المقطع الآتي: "... كما حدث للفتاة العلاقة الساكنة في الشارع الموازي لبيت عمته والتي تربصت بها جماعة إرهابية بعد أن خلا صالونها من الزبونات وهجموا عليها عند المغرب عندما كانت تستعد للعودة إلى دارها وانقضوا عليها وخنقوها حتى فصلوا رأسها عن جسدها ورموا بها في بئر القرية... فعلوا بها هذا لأنها لم تمتثل لتحذيراتهم بالتخلي عن مهنة الحلاقة وتجميل النساء (...) وبالنسبة لهم كما أن العلاقة تصنفها الجماعات المتطرفة الإرهابية ضمن المهن التي تحرمها شريعتهم على المرأة"[83].

يبين هذا المقطع أن فعل الإبادة لم يقتصر على السياسيين فقط ورجال الدولة، وإنما طال النساء الواتي نكّل بهن وعانين من عنف جسدي رهيب. وفي موضع آخر يظهر شكل آخر من العنف: "لقد سرقوا بموجبه العذارى إلى الجبال والمغارة، وبعد أن التمسوا فيه عدم الكفاية والاستجابة لنزواتهم الإرهابية والإجرامية دعموه ببند آخر يبيح لهم زواج المتعة في المغارة والكهوف التي اتخذوا منها مأوى وسيقت الصبايا في وضح النهار وسفكت دماؤهن على سفوح الجبال"[84].

يوضح هذا المقطع كيف تعرضت المرأة الجزائرية للاختطاف والاغتصاب، فكانت أولى ضحايا المجتمع التي طالتها جرائم الاغتيال والاغتصاب، ويدرج هذا العنف ضمن خانة العنف المادي والجسدي المسلط على المرأة، وهو من أخطر أشكال العنف الموجه ضدها.

صورت لنا الروائية العنف ضد المرأة في صورتين، تتمثل الأولى في الإرهاب وجرائمه وهذا ما تلمسناه في المقطعين السابقين، أما الثانية فتتمثل في العنف العائلي الذي يصيب المرأة في أشد خصوصياتها، وله انعكاسات خطيرة على الفرد والمجتمع، خاصة إن كان ذلك من شريكها الذي يبخل عليها بعبارات التقدير أو الحب، ومن الأمثلة الدالة على ذلك في الرواية،

[83]- ينظر: زهرة ديك، م س، ص 14.
[84]- زهرة ديك، ص14.

المقطع الآتي: "أيكون قد أحبها فعلا ويحرص دوما حتى لا يبدو ضعيفا أمام أنثى هو من يرضى لنفسه الانقياد والجري وراء امرأة مهما كانت... عزم أن يبدو لا مباليا أمامها... هي التي طالما حلمت بذرة اهتمام منه طالما اشتاقت كلمة صحبة صادقة منه كان يعاملها بتكبر وعنجهية وكأنه يمن عليها بعواطفه وعجبت لطول صبرها وتحملها لمعاملته لها وهي التي وهبت له أغلى ما تملك"[85]. فيبدو الحب في تصور الرجل نقصا في رجولته، فيكون مع المرأة جافا غير مبال بشوقها ولهفتها، وكأن الحب قيد يقيد حياته.

وفي موضع آخر يتجلى تسلط الرجل على المرأة، وحرصه على سمعته دونها: "جاءته كسيحة منكسرة تترجاه أن يتزوجها ويبقيها في بيته لتلد له ابنه.. ويعيش معهما في سعادة وهنا... أحس بورطة وهو الذي لا يريد أن يتورط أبدا فثار وأبدى غيظه من قلة يقظتها ولامها عن عدم اتخاذها للاحتياطات اللازمة التي لا توقعه في مثل هذا المأزق. موقفه الأناني الجاحد صدمها في الصميم وصدمت أكثر عندما جعلها أمام خيارين كلاهما مر إما أن تتخلص من حملها وتسقط الجنين وإما أن ترجع من حيث أتت"[86]. فالأنانية تدفع الرجل إلى التخلص من ابنه مخافة أن يتورط بسببه، ويحمّل المسؤولية كلها للمرأة لأنها لم تحتاط، فبدلا من أن يعتبر نفسه أيضا شريكا في العلاقة السرية ويتحمل المسؤولية مثلها ويتقاسمها معها، يتهرب ويحتمي بقوانين المجتمع الأبوي التي تجرّمها وتقصيها.

نستخلص من المقاطع المدروسة أن المرأة تعرضت إلى العنف الإرهابي والعنف المجتمعي، بأشكالهما المختلفة سواء المادية أو النفسية، وبذلك أرادت زهرة ديك أن تعبر من خلال روايتها عن المعاناة والظلم والقهر والآلام التي قاستها المرأة خلال فترة العشرية السوداء، موجهة الأنظار وأصابع الاتهام نحوالهيمنة الذكورية، وآثارها السلبية تجاه الذات الأنثوية المعنّفة بدرجة خاصة.

2-4- العنف ضد الأطفال:

يحدث أن يكون المجتمع مصدر الحماية والدفاع عن الأطفال، كما يحدث أن يكون مكانا ومصدرا للعنف الممارس عليهم، إذ كلما كبر الطفل اتسعت مساحة معاملته الاجتماعية، مما يزيد تعرضه للإساءة من المجتمع، يتعرض على إثرها لأنواع العنف، ويعرف العنف ضد الأطفال بأنه "كافة أشكال العنف أو الضرر، والإساءة البدنية أو العقلية، أو الإهمال، أو المعاملة

[85]- م ن، ص56.
[86]- زهرة ديك، م س، ص40.

المنطوية على إهمال أو إساءة المعاملة أو الاستغلال بما في ذلك الإساءة الجنسية"[87]. ولقد صورت زهرة ديك، في روايتها، مشهدا داميا يعكس ما كان يعيشه الأطفال من عنف في مرحلة التسعينات: "فكيف إذن سيكون مصير الذي سيولد محاصرا بالرعب والمخاوف من كل جهة؟ سيكون رضاعه حتما عصارة الفجيعة والدموع سيصرخ ألما وجوعا وهو يمتص ثديي جثة اغتصبتها رصاصة طائشة في قعر دارها... سيصرخ مناديا بالحياة ويتحسس صدري فيجده مضرجا بالدم فيلعقه على أنه لبن... ستترصدنا القذائف ويحاصرنا الرصاص والهلع فأضمه وأنزوي به في أحد الأركان. ومن خوفي عليه أضمه وأضغط على جسده الصغير بكل خوفي وقواي وأمومتي وعندما يهدأ الرصاص وتنطفئ النار الملتهبة في الشارع والتي كانت ألسنتها تتلصص علي من شقوق خصاص النوافذ أتوقف عن شد صغيري وأبسط ذراعيي لاحتضنه فرحة نجاته فإذا به خيط آدامي يتدلى من جيدي المرهق... لقد مات... نعم هكذا ببساطة مات.. أعلم ما تتضمنه هذه الكلمة اللغز من معاني... مات والخوف لم يمت والقتل لم يمت والرعب لم يمت والشك لم يمت. فقط ابني الذي مات"[88].

يصور هذا المشهد الطويل حجم العنف الممارس ضد الطفل من طرف العصابات الإجرامية، وبشاعة ما يُرتكب في حق الرضع باعتبارهم رمز الاستمرارية والحياة، وجسامة الآثار النفسية على الأمهات بدرجة خاصة والعائلات عامة جراء فقدان الذرية ومصدر التواصل بين الأجيال.

ونجد في موضع آخر تصوير لأحد مظاهر االعنف النفسي، حيث ينشأ الطفل "عمر" في جو خال من الحنان والعاطفة، وهذا ما يحتاجه في تنشئته: "شرد عمر في أفكار حزينة ولت به حتى عهد طفولته غير العادية والتي لم ينعم فيها بأي شيء مما ينعم به سائر الأطفال. لقد ولد وتربى وترعرع في جو عائلي جاف خال من الحنان ورعاية الأم وانطوت نفسه على الكثير من العذاب والمرارة واليتم النفسي والعاطفي. كان طفلا تعيسا وشب فتى مهملا وكبر رجلا مهمشا يلاحقه التجاهل والإفشال حيثما كان..."[89].

يتضح من هذا المقطع، ومن المقطع الذي سبقه، أن العنف الممارس ضد الطفل، هو في جوهره عنف مجتمعي، ناتج عن المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع، كالفقر والبطالة، وضعف صلات التكافل والتعاون بين أفراده وأبنائه، وكذلك اضطراب العوامل العائلية التربوية، وضعف قدرة الأولياء على فهم احتياجات الطفل العاطفية، ونجد أيضا عنف آخر ممارس من

[87]-خالد عز الدين، السلوك العدواني عند الأطفال، ط1، دار أسامة، عمان، الأردن، 2010، ص138

[88]- زهرة ديك، م س، ص. ص180-181.

[89]- زهرة ديك ، م س.ص 110-111.

السلطة يتمثل في عدم وضع قانون لحماية الطفل، وتوفير جو ملائم له، يضمن له تنشئة اجتماعية سوية، بعيدا عن الخوف والاضطراب.

3- العنف الفكري:

يتحول الفرد، على إثر هذا العنف، إلى آلة تسير باتجاه التهديم، بلا توقف، ساعيا بكل طاقاته إلى تحقيق أهداف مرسومة من طرف جماعة استحوذت على فكره، "ويعتمد هذا العنف على نشر الأفكار المتطرفة في أوساط الأطفال والشباب"[90]، ذلك أنهم الفئة التي ستحقق طموحات الجهات التي تسعى لتجسيد الأفكار المعادية، وترى في الأطفال والشباب الأرض الخصبة لغرس تلك الأفكار. ومن المقاطع التي يتجلى فيها هذا العنف في الرواية، ما جاء على لسان عمر: "... كما حدث للفتاة الحلاقة الساكنة في الشارع الموازي لبيت عمته والتي تربصت بها جماعة إرهابية بعد أن خلا صالونها من الزبونات وهجموا عليها عند المغرب عندما كانت تستعد للعودة إلى دارها وانقضوا عليها وخنقوها حتى فصلوا رأسها عن جسدها ورموا بها في بئر قريبة... فعلوا بها هذا لأنها لم تمتثل لتحذيراتهم بالتخلي عن مهنة الحلاقة وتجميل النساء. هن كل العقدة وكل الأزمة بالنسبة لهم كما إن الحلاقة تصنفها الجماعات المتطرفة الإرهابية ضمن المهن التي تحرمها شريعتهم على المرأة.. ولذلك وجب أن تكون عبرة لمثيلاتها"[91] . نلاحظ هاهنا أن هناك طوائف تنشر أفكارا معادية للحداثة، وحقوق المرأة في التجمل، وتطلق التهم وأحكام القتل ضدهن، ما يجعلهن حبيسات الفكر المتطرف والعنف الفكري.

كذلك يعد الحب من المحرمات في عقيدة هذه الجماعة المتطرفة، خاصة إن كان الحبيب من الجهة المعارضة لها، ويتجلى هذا في المقطع الآتي: "وتذكرت بنت الجيران المسكينة التي راحت ضحية قلبها عندما أحبت رجل أمن شاهدته لأول مرة في دورية حراسة ليلية يقوم بها في أزقة حيها... كان فارسها شرطيا ينضج وجهه من تحت قبعته الزرقاء حياء وحبا وعطاء. واظب على تركيز كل دورياته في الأزقة المحيطة بمنزل الحبيبة. أحبها بجنون وهوته هوته حتى الموت... ولم تكترث للخطاب التهديدي الأول الذي وجدته يوما في صندوق بريدها يحذرها فيه صاحبها من مغبة علاقتها بهذا الخائن وعميل السلطة.. ومزقته بازدراء وتبثتت بحبيبها من السابق ولم تأبه بالخطاب الثاني الذي وصلها بعد مدة من وصول الأول وتلقت في الآخر بقطع علاقتها فورا مع هذا العميل وإلا فإن بأس المصير ينتظرها... وأحست بدماء

---

[90]- مسعود بوسعيدة، ظاهرة العنف في الجزائر والعلاج المتكامل، دار الأمل، مصر، 2005، ص37.

[91]- زهرة ديك، م س، ص14.

الحب تغلي أكثر في كل شراييها والتصقت بحبيبها إلى أن أصبح كل حياتها. وانتظرت ذات يوم زيارته المسائية له ووصلته بصدر مرتجف ارتمت به عليه فإذا به مخرقا بالرصاص تكسوه قشرة سميكة من الدم المخثر... ماتت وسال نبضها دما نقيا غطت به وجه حبيبها المتألق من تحت القبعة الزرقاء"[92]. يتبين من خلال هذا المقطع مصير القتل والإعدام الذي كان ينتظر كل علاقة حب، في زمن غاب فيه الحب والتواصل بين أفراد المجتمع وأضحى جرما في قاموس الإجرام وعقيدته الفكرية.

4- العنف الثقافي:

تنهش عقلية الناس مفاهيم معادية للآخر، تتجلى في عنف معنوي أو مادي يوهم بأنه خادم للقيم الثقافية، ويعد هذا العنف الثقافي كيان أي منظومة ثقافية، "يحصل جماعيا وليس فرديا تعززه ثقافة المجتمع مباشر ولا يكون مُدانا"[93]، لتتحول الثقافة إلى ذريعة غير مباشرة للعنف، ويصبح العنف مظهرا ثقافيا للمجتمع، يسهم في نشوء ثقافة جديدة، تشارك في إنتاجها منظمات سياسة، فكرية، ودينية، وتتزامن هذه الثقافة مع العنف المجتمعي، كما حدث في الجزائر خلال مرحلة التسعينيات. ومما يوحي بذلك في رواية "بين فكي وطن" ما جاء على لسان شخصية "عمر": "ما أشد ندمي على ما فاتني من الزمن الذي قضيته لاهثا وراء أوهام الورق وسراب الكتب... وما أشد حمقي حين صدقت قولهم... أن مكانة الرجل بعلمه وقيمته بمعارفه ومبادئه وبمخزون أفكاره ونظرته للآخر وللحياة.. كان كل ذلك تخديرا... وتحنيطا حتى يفرغ الجو وتخلو الساحة لمن فهم اللعبة في هذا البلد... من فهم أن كل ما يوجد على هذه البقعة لم يوجد إلا من أجل مهمة معينة يقوم بها وهي بعيدة كل البعد عن صلب دورها الأصلي. فالمدرسة قد تتكفل بمهام لا تعد ولا تحصى إلا مهمتها كمدرسة فعلية. والجامعة هذه السجن الكبير التي وفرت فيها كل أسباب التلهية عما يجري وراء قضبانها... لقد انتزع منها الشوارع والسجون والمقاهي والجدران دورها ولقنت الناس ثقافة العصر ثقافة العنف والوحشية والبشاعة والأنانية والذود عن المصلحة الخاصة حتى الموت أو حتى القتل"[94].

يبين هذا المقطع أن الجامعة لم تسلم من العنف الثقافي، وهو أخطر أنواع العنف، لأنه يُزرع في ثقافة المجتمع حتى يعتقد الناس أن حقيقة الحياة هي العنف والتطرف، وكل ما يعارض ثقافة الجماعة المتطرفة يعتبر فاجرا، ويظهر ذلك أكثر في المقطع الآتي: "وقد ينفذ جريمته فقط لأنني قريبه... إنهم كائنات مجردة من كل الأحاسيس الإنسانية... وعصابات

---

[92] - زهرة ديك، م س، ص. 20

[93]- معن خليل العمر، علم اجتماع العنف، ط1، الشروق، عمان، الأردن، 2010، ص20.

[94]- زهرة ديك، م س، ص.68.

متوحشة لا تتورع عن ارتكاب أفظع الجرائم... ثم إنني لا أشك في أنه على علم بقناعتي السياسية... لقد اكتشفت ذلك عندما رآني أطالع كتابا عن المذهب الماركسي ولن أنسى تلك النظرة التي رماني بها كاللعنة.. ثم قال لي بلهجة مزدرية ناقمة.. هذا الذي تكره كفر.. وردة... إن من يقرأ مثل هذه الكتب لا يمكن إلا أن يكون مرتدا... ملحدا والعياذ بالله.. وانصرف يومها وهو يتمتم بكلمات لم أستوضح إلا بدايتها التي كانت تدل على أنه كان يستعيذ ويستغفر.. إني لمتيقن أنه كان ينظر إلي نظرة المارق عن الدين والمتنكر للأعراف والتقاليد"[95].

من خلال هذا المقطع يتضح أن الجماعة الموصوفة منغلقة على نفسها، وضعت ثقافة خاصة بها، ومن يخرج عنها يعتبر زنديقا وكافرا، فلا تؤمن بالتعدد الثقافي الذي به تزدهر الشعوب، و"التعددية الثقافية بمنظور علم الاجتماع عبارة عن إطار للتفاعل تتبنى فيه المجموعات البشرية التسامح مع الآخرين وتحترم التعايش المثمر والتفاعل بدون صراع وبدون انصهار. وتعد التعددية من أهم ملامح المجتمعات الحديثة، وربما تعد مفتاحا لتقدم العلم والمجتمع والتنمية"[96]، وهذه العناصر مجتمعة هي مصدر الأمن في المجتمع، وأي محاولة لتقويض تلك التعددية الثقافية تجعل المجتمع في حالة اضطراب، تحت سلطة من لا هم لهم سوى زرع أفكار واعتقادات لا يكون مصير من يرفضها سوى القتل، خاصة رجال العلم والمثقفين والنخبة، ذلك ما يتجلى في الكثير من مقاطع الرواية: "أنا معك في أن الإرهاب الذي اشتعلت نيرانه هذه الأيام يستهدف خاصة المثقفين ورجال العلم لا بد من التصدي له.."[97]. وفي مقطع آخر: "طبعا لا يمكن لهذا الشعور أن يراودك ما دمت متلبسا بالعلم والمعرفة والمحفظة التي تستهوي بها الإرهابيين. إنهم اليوم يبحون عنك لقتلك ولا يبحثون عني أنا بياع الأسماك المقتولة ثم إن رائحة السردين وملوحة البحر تنفرهم مني وتبعدهم عني أعلمت الآن سر راحتي...؟"[98]. فبائع السردين، في هذا المقطع، هو أستاذ وزميل "عمر" في الجامعة، تخلى عن مهنته وشهاداته ليشتري راحته، ويبتعد عن أنظار الجماعات الإرهابية التي كانت تتوعد المثقفين، ويتضمن هذا المشهد والموقف دلالات رمزية توحي بدرجة الأذى الذي لحق البلاد، فقيم العلم والمعرفة صارت موضع تهديد قيم ثقافة العنف وقيم الرفض.

وفي الكثير من المقاطع نجد السخرية من مهنة المدرس أو الشهادات، ويتجلى ذلك على سبيل المثال في قول "فائق": "يا لرجولته الميتة... قد تكون الشهادات العلمية هي السبب مثلما

---

[95]- م ن، ص84.

[96]- محمد المترفي، التعددية بين المفهوم والأبعاد، http://www.alnoor.se/article.asp?id=34776، تاريخ الإنزال: 2008/10/28، تاريخ الزيارة: 2022/01/02

[97]- زهرة ديك، م س، ص12.

[98]- م ن، ص14.

كانت سبب كل المصائب والضيق الذي يخنقه.. وهي ما الذي جذبها إليه؟ لماذا فضلته عني؟ وماذا ستجد لديه؟ سوى الغرق معه في بحر معاناته وتعاسته اليومية... فكل ما يمكنه الحصول عليه راتب زهيد لا يكفيه حتى لشراء الكتب التي يحتاجها للتدريس أو الأقلام التي يكتب بها...."[99]. ويظهر ذلك أيضا في الحوار المطول الذي دار بين "عمر" الأستاذ الجامعي و"فائق"، الذي كان طالبه، لكنه ترك الجامعة ولجأ إلى التجارة: "وما أن وقعت عيناه على محفظته المتآكلة التي كانت لصق رجل الكرسي الذي يجلس عليه عمر حتى ابتسم ابتسامة ماكرة وقال:

- مازلت أستاذا

- وماذا تريدني أن أصير. رد عمر بشيء من الاستغراب.

- يظهر أنك تعشق المحاضرات والمدرجات وإلقاء الدروس عن التاريخ والحضارات..؟

كان عمر ينصت إليه بدهشة سرعان ما زالت حين تذكر روح الدعابة التي كثيرا ما تجلت بها نقاشاته مع فائق فيما سبق.

فأجابه.. نعم مازلت أعشقها لأني لا أستطيع أن أعشق سوى ذلك... وسارع فائق للقول.. أفهم من هذا أنك اختزلت حياتك ومصيرك في هذه المحفظة المملوءة بالأوراق والأقلام وحزم من شيكات الفقر وقبض الريح ستظل تجري وراءه طوال حياتك... أحس عمر بوخز هذا الكلام ينقر قلبه نقرا ... وحاول أن يداري هذا الإحساس بقوله.. أرى أنك أصبحت من كبار رجال الأعمال... عن قريب سأصبح أكبرهم جميعا... رد فائق بلهجة فخار واضح... وواصل .. أسمعت عن المخبرة الكبيرة العصرية التي فتحتها وسط المدينة.. ومصنع الأحذية الرياضية المخصصة للتصدير وشركة المعلبات الساحلية التي اشتريت أغلب أسهمها في المدة الأخيرة.. ودون أن ينتظر جوابه.. عن له أن يخفف الوطء عنه قائلا:

... ألم تفكر في تغيير سيارتك؟.. صارت قديمة أليس كذلك؟.. لقد لاحظت هدير محركها المزعج.. ودون اهتمام كبير رد عمر.. ربما.. قد أغيرها في المستقبل إن شاء الله.

[99]- زهرة ديك، م س، ص.101.

ضحك فائق بشماتة كأنه يقول له أي مستقبل تقصد... مثلك ليس له سوى الجحيم ليعيش فيه.. وأنا الذي سأقودك إليه..."[100].

أرادت الكاتبة أن تصور الوضع المزري للأستاذ الجامعي من خلال إظهار الفارق المادي الذي يفصله عن طالبه، ومن مظاهر المفارقة أن ينظر الطالب إلى أستاذه نظرة احتقار وأن يهزأ منه علانية في حضرته. فيتحول العنف اللفظي إلى أداة مؤسِّسة لثقافة الجحود والمادة. وفي موضع آخر، نصادف المقطع الآتي: "كان عمر يقود سيارته قاصدا الجامعة وحيدا إلا من حيرته وعجزه أمام كل شيء يحدث له ويحدث أمامه.. وتذكر صديقا له تحول من مهنة مهندس التي لم يمارسها قط إلى بائع مواد زينة النساء وثيابهن الداخلية المستوردة حين قال له إن كنت تريد تحقيق ذاتك كإنسان في هذا البلد عليك أن تتخلى عن الأوهام وتفطن من الأحلام وتمارس حياتك بكل واقعية وإلا فإنك ستقضي عمرك تركض لاهثا وراء السراب ولتعلم أن شهادتك الجامعية لا تصلح حتى للاستعمال كورقة توت تستر بها عورتك"[101]. وتقابل الكاتبة، في موضع آخر من الرواية، بين التحول الذي طرأ على ذهنية المتعلم ومسألة النجاة من الموت: "ولو أنه لم يتخل عن مهنته كأستاذ في الجامعة لكان مصيره مصير الكثيرين من الأساتذة ممن خطفتهم أنياب الإرهاب وقد يكون ذلك أكبر مكسب ضمنه له الرجل الجديد"[102].

تتضمن عبارة "الرجل الجديد" كل ما يمكن أن يحمله العنف الثقافي من آثار ونتائج سلبية تمس بدرجة خاصة بنية المجتمع وتقلب موازين القيم فيه، ذلك أن العنف يولد العنف وينتشر حيث يعم الجهل وتتراجع القيم الإنسانية والروحية.

5- العنف ضد الذات:

هو ذاك العنف الذي يوجهه الفرد إلى نفسه، ويتجلى في ظواهر عدة، كالانتحار، وتعذيب النفس وحرمانها الأكل والشرب، أو المبالغة في تأنيب الضمير، وقد يرتبط أيضا بالإدمان على الخمور والمخدرات، ومختلف السلوكات المضرة التي تعود على الذات بالسلب. ونجد في رواية "بين فكي وطن" نماذج كثيرة من هذا العنف، ولقد عمدت الكاتبة إلى تمثيله عبر الشخصيات والأحداث، ومن أمثلة ذلك ما ورد في المقطع الآتي: "وفي كل الجرائد تقريبا لا تجد إلا صفحة واحدة لم تطلها بقع الدم وفي أغلب الحالات تكون صفحة الإعلانات عن طلبات لتبديل الأسماء وتغيير الوجوه ولون العينين وهناك حتى من يريد تغيير جنسه كهذا الذي غلبه الخوف واستولت

[100] - زهرة ديك، م س، ص. ص95-96.
[101] - م ن، ص. 164.
[102] - م ن، ص. 55

عليه الوساوس بعد أن قتل ابن جاره أباه لأنه يعمل في مصلحة حكومة وبالتالي فهو عميل وقواد للسلطة الظالمة... وانتابته المخاوف وأصبح يشك في كل الناس وكل من حوله ولسوء حظه أنه هو الآخر يعمل عند الحكومة هجر بيته وأولاده وأخيرا قرر هجر نفسه والبحث عن جنس آخر وليس أن يكون جنس أنثى.... المهم ألا يكون جنس ذكر... فبات يبحث عن جنس آخر أي جنس على ألا يكون ذكرا ولا مانع لديه إن كان حيوانا أو طائرا أو شجرة في حديقة مصونة..."[103]. فالعنف الإرهابي دفع إلى العنف الذاتي الذي بلغ ذروته حينما تمنى الإنسان الجزائري تبديل جنسه بآخر، مهما كانت طبيعته، حيوانا أو نباتا أو جمادا، فهو فقد الثقة في أبناء جنسه ووطنه، وهنا مكمن الخطورة.

والتخلي عن الجنس ليس وحده وسيلة التعنيف التي مارستها الشخصيات في حق نفسها، إذ نجد بعضها يتجه نحو التدخين، كما في هذا المقطع: "... وانتابته رغبة في التدخين.. لقد أصبح من كبار المدخنين بعد أن كان من كبار المعارضين للتدخين ... إنه لا يحتمل ذلك كل ما فيه ينقض لمجرد تفكيره في ذلك. امتلأت مطفأة السجائر أمامه في الصالون بعد أن قرر أن يمضي بقية ليله في الصالون ساهرا مع أشباحه والمداسة للتو بعجلات شاحنة من الوزن الثقيل"[104]. وكأن التدخين أصبح وسيلة هروب من الواقع وتخفيف من وطأة الواقع على حساب الذات والصحة البدنية.

يظهر العنف ضد الذات أيضا في شرب الخمر لإرضاء الآخر على حساب النفس، ويتجلى ذلك في المقطع الحواري الآتي: "- اليوم أمضيت عقدك الأول واليوم ستشرب كأسك الأولى... وجحدت عينا عمر في الأول إلا أنه سارع لكتم اعتراضه وإخفاء دهشته مما ينوي فعله به فائق، وأصبح كالطفل القاصر بين يدي ولي أمره الراشد.

- وما دمت قد وقعت العقد علي أن أتقبل كل تابعاته سأواصل الطريق إلى الأخير ..."[105].

ومما يعكس العنف ضد الذات أيضا، المتخبطات النفسية لدى الشخصية، ونجد أمثلة لها في "عمر" الذي يعيش صراعا نفسيا من بداية الرواية حتى نهايتها، فيقول متأسفا على ما فاته: "ما أشد ندمي على ما فاتني من الزمن الذي قضيته لاهثا وراء أوهام الورق وسراب الكتب... وما أشد حمقي حين صدقت قولهم... إن مكانة الرجل بعلمه، وقيمته بمعارفه ومبادئه وبمخزون أفكاره ونظرته للآخر وللحياة.."[106]. وفي موضع آخر، يوصف بالعجز: "يبقى عمر مسكونا

[103] - زهرة ديك، م س، ص.ص127-128.
[104] - زهرة ديك،م س، ص158.
[105] - ، م ن، ص141.
[106] - زهرة ديك، م س، ص68.

بهذا الإحساس المر والشعور بالعجز والإذلال أمام هذا الواقع الأصم...."[107]. وفي موضع آخر، يبدو موضع شفقة: "ركبه إحساس ثقيل بالوحدة...فتوجه إلى كرسي كان قابعا في أحد أركان البيت وانكمش فوقه... كل شيء حوله كان يتحول وينتحب لمصيره البائس"[108].

وتبلغ الشفقة ذروتها، في مقطع آخر، حين يترجم معاناته وآلامه دموعا، إذعانا بضعفه وقلة حيلته: "...وفجأة نازعته الرغبة في البكاء... أراد أن يجهش وينوح ولكن لماذا؟

لست أدري لماذا؟

أريد أن أبكي وفقط... لا لأجله بالضرورة بل لأجلي لا دري بالضبط وانتظر أن ينفجر معولا أن يصرخ منتحبا أن يولول وقوع هذه المصيبة ومصائب أخرى ستقع.. وأخيرا انفجر.. انفجر بكل قوة المعاناة والعذابات المدفونة منذ سنين في أعماقه بكل الحرقة والأسى على أماله المهدورة على أيامه المقهورة..."[109].

اتخذت الكاتبة شخصية "عمر" نموذجا للإنسان الذي وقع ضحية عنف متعدد المصادر، مورس عليه اجتماعيا وفكريا وثقافيا، ليمارسه بدوره على ذاته، ويترجمه في مشاعر الخيبة والإحباط والندم، ويجد نفسه في دوامة من الضغوطات، ليس له من سبيل للخروج منها سوى الإقرار بالعجز والضعف والبكاء، وبذلك يمكن عد هذه الشخصية تجل للعنف ونتيجة حتمية له.

[107] - م ن، ص97.
[108] - م ن، ص189.
[109] - م ن، ص91.

المبحث الثاني: الشخصيات بوصفها محددات للعنف

تعد الرواية، كما قلنا في بداية هذا الفصل، أكثر الأجناس الأدبية تعبيرا، في عصرنا، عن الإنسان وقضاياه، وأشدها التزاما بوضع المجتمع البشري، واقترابا من مختلف نماذج البشر ومعالجة لفكرها وذاتها، ولقد اهتمت نظرية السرد الحديثة اهتماما كبيرا بدراسة تمثلات الشخصية في الرواية "بوصفها جزءا من العملية السردية إذ لا يمكن تصور رواية بلا أعمال، كما لا يمكن تصور أعمال بلا شخصيات حيث قال: "**افرويتر**: كل قصة هي قصة شخصيات"[110]. وتساءل **هنري جيمس** (Henry James)، في السياق ذاته، قائلا، ومضمنا سؤاله الجواب: "ما الشخصية إن لم تكن محور الأعمال، وما العمل إن لم يكن تصوير الشخصيات، وما اللوحة أو الرواية إن لم تكن وصف طباع الشخصية"[111]. فالشخصية إذن أبرز عناصر البنية السردية وأهمها، فهي بمثابة النقطة أو البؤرة الأساسية التي يرتكز عليها العمل السردي.

1- دلالة الشخصية الروائية:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور: "الشخص سوادُ الإنسان وغيره تراه بعيدا، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه. والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور... وجمعه

[110] - جويدة حماش، بناء الشخصية. مقارنة في السرديات، منشورات الأوراس، الجزائر، 2007، ص56.
[111]- نبيلة زويش، تحليل الخطاب السردي، دار الريحانة للكاتب، الجزائر، 2007، ص.133

أشخاص وشخوص وشخاص وشخص تهني ارتفاع وشخص الإنسان وغيره"[112]. فالدلالة اللغوية لكلمة شخصية ترتبط بالجسم والشكل والهيئة. أما من الناحية الاصطلاحية فهي "مجرد عنصر شكلي وتقني للغة الروائية، مثلها مثل الوصف والسرد والحوار"[113]. ويرى فليب هامون (Philippe Hamon) أن "الشخصية في الحكي هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص"[114]. ومن هذا نستنتج أن الشخصية في عالم الأدب والفن من نسج خيال المؤلف، ويسهم القارئ، باعتباره طرفا فعالا في عملية الإبداع، في بلورة ملامحها وتمثيل مختلف أبعادها.

تجدر الإشارة إلى أن ثمة فرقا بين مصطلحي "الشخصية" و"الشخص" في العمل السردي، فيرى محمد عزام أن الشخصية عامة لها قوانين وأنظمة تقننها وتقعدها، وأن الشخص خاص يعني شخصا معينا في رواية معينة، له سماته الخاصة وصفاته النفسية والجسمية المحددة[115]. ومادام تركيزنا منصبا على الشخصية، في هذا المبحث، فلا بأس من إيراد تعريف الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض الذي يرى أنها "كائن حركي ينهض في العمل السردي يوظفه دون أن يكونه"[116]، ويرى الناقد المغربي حميد حميداني، من جهته، أنها "القائلة العاملة بمختلف أبعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية، والتي يمكن التعرف عليها من خلال ما يخبر الراوي أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها، أو يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات"[117]. وفي كلا التعريفين نلاحظ تركيز الناقدين على دور القارئ في تكوين الشخصية الروائية استنادا إلى زاوية قراءته والمقاربة التي اختارها في التحليل.

تحمل الشخصية الروائية فكر الروائي وتمثل أجزاء من حياته ونماذج من محيطه الاجتماعي والانساني، وتؤدي دورا كبيرا في سير الأحداث، وتقدم للقارئ صورا عميقة عن أفكار المؤلف ورؤاه وتصوره للأشياء. وبالتالي تعد الشخصية إحدى ركائز العمل الروائي، تسهم في فهم طبيعة ونظام العلاقات التي تحكم المتن الداخلي للعمل والحركية التي تطبع

---

[112]- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكروم، لسان العرب، المجلد الأول، طبعة جديدة محققة ومشكولة، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ج 25، مادة (ش، خ، ص) ، ص.ص.2211- 2212.

[113]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية. بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص. ص. 76- 77

[114]- حميد الحميداني، بنية النص السردي في منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص. 50

[115]- ينظر: محمد عزام، شعرية الخطاب السردي. دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص11.

[116]- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي. معالجة تفكيكية سيميائية مركبة "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 126

[117]- حميد الحميداني، م س، ص ن

الأحداث في مجموعها، والشخصيات بمختلف أشكالها، الرئيسة والثانوية، وهو ما سنحاول إبرازه في رواية " بين فكي وطن"، من خلال تتبع أهم ما يطبع تلك الكائنات الورقية الحركية.

2- الشخصيات الرئيسة:

2-1- "عمر" وعنف التغير:

إن الحضور السردي لشخصية "عمر" في رواية "بين فكي وطن"، حضور قوي، يمنحها مقام الصدارة ضمن مجموع الشخصيات الأخرى، ويتبين ذلك الظهور وتلك المكانة من الوهلة الأولى، في أولى صفحات الرواية: "حاول مرة.... حاول ثانية... في الثالثة فتحها، وجر عمر عناء كبيرا ليرفع الثقل المركزي على جفنيه...."[118].

توفيت أم "عمر" وتركته صغيرا لا يذكر حتى صورتها: "غاص عمر في بحر من الذكريات البعيدة.... وحاول ككل مرة أن يسترجع وجه أمه التي فقدها وهو لم يتجاوز الحولين"[119]. فظلت آثار اليتم محفورة في وجدانه وزادت نفسه تيها وضياعا.

"عمر" أستاذ جامعي يسكن في بيت عمته بعد إلحاحها عليه بالاقامة عندها، ويبدو مستاء من الوضعية المزرية التي يعيش فيها وهو في بيت عمته، ويتجلى هذا الشعور في مشاهد عديدة من الرواية: "الأيام تمر ولا بصيص أمل...إنه لا يدري إلى متى ستدوم هذه الحالة المذلة ومن يمكن له الإفلات من هذا المأزق وتحطيم مصيدة الفاقة التي وجد نفسه سجينا فيها. سجين فقر عمته وفاقتها وإلحاحها عليه بالبقاء عندها إذ لا يعقل أن يكتري شقة أو بيتا في حمام وعمته حية ترزق"[120].

تظهر شخصية "عمر" سلبية في عدة مشاهد من الرواية، إذ يستسلم ويخضع بسهولة، ويخشى المواجهة، ويبدو فريسة لعدة شخصيات، بدءا من عمته، التي لم يستطع أن يرفض حتى مواجهتها وإخبارها برفضه لابنتها، ولم يستطع أن يبحث عن مكان أحسن من بيتها، ففضّل الخضوع لها وللغرفة التي سماها الصندوق، كما جاء في المقطع الآتي: "ولكنه لم يتعلم ولم ينفق سنينا في عمره ليؤول به الأمر إلى ما آل إليه....هكذا بكل بساطة يسقط فريسة المهانة والعجز الكلي، العجز حتى عن مواجهة عمته ليقول لها أنه لا يريد الزواج بابنتها السمينة"[121].

---

[118] - زهرة ديك، م س، ص4.

[119] - م ص، ص 8.

[120] - م ن، ص7.

[121] - م ن، ص8.

تظهر شخصية "عمر" متحملة، لسنواتٍ، حياةً روتينية مثقلة بالآلام، أبقتها في حالة حزن وضياع وخوف من الوحدة ومن المجهول: "ليس هناك ما هو أبشع من أن يشعر الشخص بأنه بات مسلوب الإرادة.... مسلوب الاختيار... عليه أن يكبت كل أحاسيس الرعب التي احتلته"[122]. وتلتقي فكرة الإرادة المسلوبة مع عبثية الحياة في توجيه نظرة "عمر" إلى ذاته وتحديد سلوكه وتضييق آفاق أمله وانتظاره: "كان عمر يطبق عينيه ألما بين الحين والحين ويضغط على جفنيه حين يتبدى له فجر دام من الآفاق السخيفة... وإحساس اللاجدوى صار هو السيد الآمر الناهي في عالمه المخنوق"[123]. وباجتماع هذه الظروف القاهرة، المقيدة لشخصية "عمر"، يقع ضحية عنف الآخر له وعنف ذاته، وتنحصر عاطفته بين ماض طفولي بعيد وحاضر كئيب: "... وواصل ضحكة ولكن بوتيرة أضعف وكأنه يريد أن يستغل هذه النوبة النادرة لإخراج مخزون ألف سنة من الضحك... الضحك الذي نسيه أو كاد.... حياته خالية منذ بدايتها الأولى خالية من كل مؤشرات الفرح. لقد انقض عليه شبح اليتم حين فقد أمه الحنون ونبت أسنانه لم يكتمل بعد"[124]. فالعنف هو كل ما عاشه "عمر" في حياته، وقد لخصت الكاتبة ذلك الوضع بعبارة "بين فكي" التي اقترنت بعنوان روايتها بقدر ما اقترنت بأحداثها وشخصياتها، موجهة انتباه القارئ نحو دلالات القهر الإنساني.

تتتابع أحداث الرواية وشخصية "عمر"- كما أسلفنا القول- تسير في الوتيرة نفسها وتعيش الوضع نفسه، أستاذ جامعي يعيش في بيت عمته مرغما، يشعر بالاشمئزاز من ابنتها، إلى أن يلتقي بحياة، عشيقة "فائق"، الذي باعه سيارة بالتقسيط، فيصبح يعيش إحساسا جديدا لم يعشه أو يجربه من قبل: "دخل عمر بيته الجديد وفي قلبه شيء جديد لا يدري بالتحديد ما هو.... إنه شيء ما... أحدث شيء ما بداخله... إنه مدهش بقدر ما هو مغتبط.... كل هذا التغيير في وقت واحد.. لا يكاد يصدق أنه تخلص بمثل هاته السهولة وهاته السرعة من الكابوس الذي جثم عليه طيلة سنوات... فإذا بأساور يأسه العتيدة تتململ وإذا بقضبان أحزانه العتيقة التي سورت ضريح قلبه منذ عهود تتمايل وتتهاوى الواحدة تلو الأخرى لتفتح فيه الحياة ويهب منتصبا كأن شيئا لم يكن. وفي غمرة الأحاسيس الجميلة التي هجمت عليه فجأة وغيرت ألوان الحياة في عينيه تغاضى عن جو الفجيعة الذي يلف كل الدنيا من حوله"[125]. فالحبهو من غير مجرى إحساس هذه الشخصية الرئيسة ونمط عيشها، فرغم ما كان من دمار حولها، إلا أنها لم يبالي يكل ذلك، بل سقطت أسيرة العشق.

---

[122] - م ص، ص10.
[123] - م ن، ص13.
[124] - م ن، ص16.
[125] - م ص.ص61-62.

يتزوج "عمر" عشيقته "حياة"، وبعدها يعرض عليه "فائق" صفقة ستغير حياته المادية ويدخل في عالم جديد، عالم التجارة والاعمال، ويترك الجامعة والدكتوراه، ويتجلى هذا التغير العنيف في المقطع الآتي: "لم يستفيق عمر من سكرة تأملاته إلا على صوت فائق وهو يقول له بلهجة منتصرة هنيئا لك بالنجاة من حياة الكتب والأوراق ونكد الجامعة ومرحبا بك شريكا في عالم الرجال والمال والنفوذ... ولنشرب نخب أول خطوة لك في عالمنا يا أستاذي العزيز..."[126].

ينغمس "عمر" في عالمه الجديد، فيغير منزله إلى منزل راق، في أدق تفاصيله، من ستائر وأفرشة وأثاث، لكنه يجد نفسه قد دخل عالم الممنوعات، إذ أصبح يتاجر في المخدرات، دون أن يفهم كيف ومتى وصل إلى ذلك الطور: "أقول لها إني هجرت الجامعة واقتحمت أخيرا جزيرة الديناصورات البشرية واستحممت في سمنها وعسلها وغسلت قلبي من كل السخافات والهراء الذي كان يعشش فيه.."[127].

بعد أن انغمس "عمر" في عالم المخدرات ووصل إلى ما كان يحلم به، من مال وعيش راق، عاودته مشاعر الخوف: "عرى كل مخاوفه أمامها وحكى لها عن المخاطر التي تهدده منذ دخوله عالم تجارة الممنوعات وتهريب المخدرات.. كان يدري أنه يكفي سقوط أحد شركائه في قبضة الشرطة لتنجر كل الشلة وراءه .... وقال لها في انكسار، سئمت الخوف والإحساس بالمطاردة من المجهول... ذل الخوف أمر من ذل الحاجة والفقر"[128]. وفي آخر الرواية يتضح أن "عمر" قد ندم لتركه وظيفة الاستاذ الجامعي، صاحب المبادئ، فلم يجد ما كان يريده، ويظهر حنينه إلى حياته السابقة في آخر مقطع: "جال نظره فيها قطعة قطعة إلى أن وقعت عيناه على مكتبته المهملة في الزاوية المقابلة. ركز عليها نظرة فترامى إلى مسامعه عويل كتبه اليتيمة فهرع إليها مادا يديه ليحتضنها وبحركة حانية أخذ يلتقط دموعها التي تذرفها أوراق ذابلة تتطاير حسرة وتلتطم بالجدران والأرضية في يأس واحتضن منها الكثير... ثم جثم على ركبتيه وأحس بجوع شديد وهو يدس رأسه فيها ويستنشق عبير ورقها وحبرها... وكمن دخل على وليمة بعد جوع سنين أخذ يعب منها بكلتا يديه ويحشو بها فمه وحلقه دون توقف..."[129]. فشخصية "عمر" التي نسجت بها وإليها كل أحداث الرواية، شخصية ضعيفة هشة تبحث عن سعادتها ولا تجدها، تبحث عبثا عن الأمن والاستقرار في حياة رفاهية ليست سوى سراب،

[126] - م ن، ص141.
[127] - م ص، ص151.
[128] - م ن، ص188.
[129] - م ن، ص192.

فتشهد عنف التغير، ويزيدها وضعها المادي الجديد أسفا على ماضيها، ويزيدها عنفا إزاء ذاتها وإزاء القيم التي جرفتها وردّتها تائهة بين طرفي نقيض.

2-2- "فائق" وعنف المظاهر:

هي شخصية أدت دورا في تغيير مسار شخصية البطل، بدا ظهورها عندما أراد "عمر" شراء سيارة من سوق السيارات، ليجد هناك تلميذه "فائق"، الذي توقف عن الدراسة في الجامعة ليدخل مجال التجارة (بيع و شراء السيارات)، فباع لاستاذه سيارة بالتقسيط، لم يكن يحلم بها يوما. وهو ما جاء في المقطع الآتي: "إني في خدمتك يا أستاذي العزيز... وستكون زبوني المبجل اليوم بعد أن كنت أستاذي المحترم بالأمس...

وحسب ما يبدو على نوعية سيارة فائق أنها تتجاوز الثمن الذي يقدر عليه عمر بكثير... لكن فائق اختصر الوقت بعد أن قرأ كل أفكار أستاذه... ولم يدعه يكمل .. إذ مد إليه يمناه مصافحا.... وهو يقول مبروك وبإمكانك تسديد المبلغ الناقص بالتقسيط الذي تسمح به إمكانياتك.... وهذا أقل ما يمكن أن أقوم به تجاه أستاذي."[130]. وبعد هذا اللقاء أصبح الاثنان يلتقيان كثيرا، إلى أن التقيا في منزل "فائق"، وهناك رأى "عمر" عشيقته "حياة"، فأحبها وأحبته، وتخلت عن فائق لتتزوج به. ولما سمع "فائق" بالخبر قرر الانتقام من صديقه وعشيقته السابقة، التي فرت منه بسبب غروره ونرجسيته، وهو السبب الذي يبنيه لنا المقطع الآتي: "عاد يتأمل خضوعها واستسلامها الذي يغذي غروره أنانيته وسألها بغرور وتأب ..."[131].

تبدو شخصية "فائق"، عبر الأوصاف المنسوبة إليها في الرواية، شخصية تخشى الخوف وتحب المغامرة والمجازفة، ويظهر هذا المقطع الآتي: "الخوف عندي له تفسير واحد لا غير.. هو النهاية والفناء.. وأنا لا رغبة لي في الانتحار أو الموت لذا علي أن أصد عني الخوف بكل ما أوتيت من الحياة من لامبالاة من مال ومن... نساء... لقد قررت أن أتصفح معنويا حتى أتجاوز حاجز الخوف نهائيا... "[132]. فهو بذلك نقيض "عمر" تفكيرا وسلوكا، فبدلا من تعريض ذاته للعنف يعرّض غيره له، دفاعا عن نفسه وإشباعا لرغبة التفوق الكامنة بداخله.

يزداد حقد "فائق" وتشتعل نار الانتقام في أعماقه، بعد أن عرف بعلاقة "عمر" ب "حياة"، فيقول مظهرا طاقة الإساءة المختزنة فيه: "أنا الذي سأفسد حياتهما إلى الأبد سأريهما من أكون .... لن يهدأ لي بال حتى أدمرهما. ما أغباهما من مخلوقين..... إنك بحاجة إلى تأديب

[130] - م ص، ص23.
[131] - م ن، ص40.
[132] - م ص، ص36.

يا أستاذي العزيز..... وأطلق فائق ضحكة جوفاء حاقدة وهو يتخيل صورة عمر كما رسمها له حقده الجهنمي"[133]. ولتحقيق هدفه زين لاستاذه الطريق حتى أدخله عالما ماديا، كل ما فيه عنف. فشخصية "فائق" في الرواية شخصية أنانية لا تحب من ينافسها في أشيائها، حتى وإن كانت قد تركتها وتخلت عنها، وهي أحد عوامل العنف ومسبباته.

2-3- "حياة": الحب في مواجهة العنف:

تظهر "حياة" في بداية المسار السردي باعتبارها شخصية ضحية، وقعت في حب "فائق" الذي اكتشفت لاحقا أنانيته وغروره، إذ لم يكن راغبا في الارتباط بها، وتخلى عن وعده لها بالزواج بعد أن قدمت له كل شيء، وكان ذلك بالنسبة إليها صدمة: "جاءته كسيحة منكسرة تترجاه أن يتزوجها ويبقيها في بيته لتلد له ابنه .... ويعيش معهما في سعادة وهناء.... أحس بورطة وهو الذي لا يريد إن يتورط أبدا فثار وأبدى غيظه من قلة يقظتها ولامها عن عدم اتخاذها للاحتياطات اللازمة لكي لا توقعه في مثل هذا المأزق. موقفه الأناني الجاحد صدمها في الصميم وصدمت أكثر عندما جعلها أمام خيارين كلاهما مر. إما أن تتخلص من حملها وتسقط الجنين وإما أن ترجع من حيث أتت .... ولم تجبه..... سيل الدموع الذي انهمر من عينيهما المفجعتين أجابها... كلامه كان يلسعها لسعا.... لم يعد لها أي داع لتسأله..... ألا تحبي؟ ألا تنوي الزواج بي؟... ألم تقل وأنت تسقي صحاري حبنا العطش أنني الوحيدة التي تحب؟..... ولا تستطيع أن تعيش بدونها"[134].

هذا السلوك المادي العنيف الذي تأكد في شخصية 'فائق"، حمل "حياة" على البحث عن الحب الحقيقي، والمشاعر الصادقة، والمبادئ النبيلة، وقد وجدت هذا كله في شخصية "عمر"، الأستاذ الجامعي، الباحث والدكتور، فادخلته حياتها دون تردد. تقول متأسفة على ما فاتها من حب دون ذلك الحبيب المنتظر: "يا إلهي ماذا يمكن أن يفي ذلك؟ أهو الأوان قد حان لأتوقف عن الركض وراء السراب وأغير وجهتي نحو هذا التائه الذي عثرت عليه وعثر علي فجأة .....؟

وانغمست حياة في عالم جديد... ورغم بقائها في بيت فائق إلا أنها باتت تحس أنها انتقلت إلى مكان آخر وبسرعة أذهلتها نسيت صورة حبيبها، أرادت أن تتذكرها. لم تستطع رغم أنها كانت معلقة على الجدار... لم تكن هي. جاءت صورة الرجل الاخر الذي ضاع منها في العهود

---

[133] - م ن، ص40.

[134] - زهرة ديك، م ص.ص39-40.

الغابرة واليوم عاد إليها...، ملامحه أصدق أن يخدشها أدنى شك... نظراته أصفى من أن يشوبها أي ريب...."[135].

تجسد "حياة" شخصية المرأة الباحثة عن الحب والأمن والاستقرار، والتي تقاوم العنف الذكوري، وترغب في الحياة والاحترام في زمن طغي فيه العنف وأصبح خطابه خطاب مجتمع برمته، فبذلك تدعو زهرة ديك إلى عودة المشاعر الإنسانسة الصادقة، والعلاقات الصافية بين الرجل والمرأة، إبعادا للعنف بكل أشكاله.

3- الشخصيات الثانوية:

تتضمن الرواية شخصيات ثانوية عديدة، سنكتفي بنموذجين هامين منها، أدتا دورا كبيرا في المتن الحكائي، هما "العمة خديجة" و"سميحة":

3-1- "العمة خديجة" وعنف المصلحة والقرابة:

شخصية مستغلة، فكانت دائما تلح على "عمر" للبقاء في بيتها بحجة الرحم، لكن غرضها هو ضمان مساهمته في مصارف البيت. ويظهر ذلك في المقطع الآتي: "غبية... لما تكلف نفسها عناء. فعمر يمثل لها موردا ليس لها أي استعداد للتفريط فيه مهما حصل وإلا فكيف ستعيل عائلتها بأفرادها السبعة. وما الذي يمكن أن يقضيه الراتب الهزيل الذي يتقاضاه شيخها صالح من معمل الأجر"[136].

كذلك كانت العمة "خديجة" طامعة في أن تزوج ابنتها ل "عمر"، ويظهر هذا في العديد من المشاهد من بداية الرواية. تقول مخاطبا قريبها بلغة التلميح: "إنك أعز عندي من أبنائي والله يا عمر.... كانت ترددها دوما على مسامعه.... ما أسعد التي ستكون من نصيبك. هذه العبارة بالذات كانت تلقيها على مسامعه بلهجة رجاء وأمل كلما تأتيه ابنتها سميحة بصينية الأكل أو ثيابه المغسولة"[137]. وفي مشهد آخر، يرد عليها "عمر" في حديث باطني كاشفا مطامعها: "إني هنا يا عمتي خديجة أنا معك حتى يأذن الله بشيء آخر... إذن فلا تجزعي ولا تتركي تخوفك من ذهابي يقض فراشك ويطرد النوم من عينيك الذابلتين الطماعتين.

ولكن أن تربطني بابنتك ذات الوزن الثقيل وصاحبة الخدوج الطرية...

---

[135] - م ص. ص60-61

[136] - م ن، ص24.

[137] - م ص، ص8.

لتكون غنيمتك مضاعفة..... فبمنتهى الأسف أؤكد لك أن ذلك لن يحدث معي أبدا"[138].

تجسد العمة شخصية المنتهز الذي لا يهمه من أمر الآخر، ولو كان قريبا تجمعه به رابطة دموية، سوى المنفعة والمصلحة الشخصية، وقد أسهم هذا السلوك في زيادة نفور "عمر" من قريبته، ذلك أن عنفها مورس باسم القرابة العائلية، وليست تبعاته أقل ضررا مما يعكر صفو حياة البطل ويدفعه إلى التيه في زمن عنوانه العنف.

3-2- ابنة العمة "سميحة" وميراث العنف:

شخصية جريئة تريد أن توقع "عمر" في شباكها، تريده أن يقترب منها، أن يشعر بها ويظهر ذلك في المقطع الآتي: "لكنها وحدها التي كانت حذرة وحريصة على كتم أنفاس تلك الباب أو مراوغة أعين الليل لتتسلل كل مرة متلحفة بالظلام إلى تلك الغرفة الضيقة..... لتراقبه أولا عن بعد وإذا ما بدا لها أنه يغط في نوم عميق أو يتظاهر بذلك، لا مانع. المهم ألا تضبطها نظراته ويكتشف أمرها..... إنها لا تقوى على مواجهة عينيه..... ولأجل ذلك كانت تتحاشى الاقتراب من وجهه وتكتفي بمراقبته عن بعد قليل قبل أن تزيح الغطاء بحذر شديد من أعلى قدميه فيشعر بوهج أنائها المحمومة وهي تتكور فوق رجليه كتلة من اللحم الأسمر الطري. إنها تعشق ملمس أصابعه في صدرها وتواصل سحق القدمين ولا تتركهما إلا ثملتين مشنجتي الأصابع.

ومع ذلك كانت نظراتها إليه في كل صباح فارغة هادئة تكسوها مسحة من البراءة الفاعلة"[139].

فهذا السلوك يشي بعقدة نفسية تعاني منها "سميحة" وبعنف داخلي يدفعها إلى الإخلال بآداب الحياء، وتفريغ مكبوتاتها التي ليست سوى نتيجة لذهنية الإقصاء والقمع المفروضة على النساء والتي تجعل منهن ضحايا الجسد ومغرياته.

بعد مرض أم "سميحة" وموت أبيها لجأت إلى الحانات وأصبحت بائعة هوى وهذا ما يصوره المشهد الاتي: "غير معقول.... لا يمكن أن تكون هي ..... ولكنها هي سميحة ابنة عمته وأحس أنه يهوي من كل وتدحرج قلبه موجوعا بحدة الصدمة.

وتساقطت أمام عينيه صور الشريط الكامل للفترة التي قضاها في بيت عمته.... ما الذي حدث لتلك العائلة؟... كان يمكن أن تتصور أي شيء يحدث لها بعد مقتل ابنهم... إلا هذا.... ابنة عمته في حانة معناها أنها تحولت إلى بائعة هوى....

---

[138] - م ن، ص. ص24-25.
[139] - م ص، ص159.

كيف حدث ذلك؟ ولماذا؟"[140].

الحالة التي آلت إليها ابنت العم، نتيجة حتمية لوضع الكبت والمنع الذي عاشته في بيت عائلتها، فهي ضحية عنف شامل موروث، يمتد ليصيب البنات بدرجة خاصة، ويتراكم على مدى الأجيال، ويجد دعامة له في الأوساط الثقافية الاجتماعية، التي تكرس لغة التنديد والتهديد على حساب الحوار بين الجنسين.

مما تقدم طرحه في هذا الفصل، يتبين أن الشخصيات، رئيسة كانت أم ثانوية، تعد أحد محددات العنف في رواية "بين فكي وطن"، فقد عمدت الكاتبة إلى شحنها بدلالات تتراوح بين مسبباته ووسائطه وضحاياه، فاختارت للحدث الروائي والحبكة العامة المرتبطين بالعنف التسعيني، شخصيات تنعكس فيها صور ومشاهد عنف مارسته أو مورس عليها.

[140] - م ن، ص153.

خاتمة

سعينا من خلال دراسة رواية "بين فكي وطن" لتوضيح مدى تمثيل الروائية الجزائرية "زهرة ديك" لمختلف التحولات التي طرأت على مجتمعها، على مختلف أصعدة الحياة، فتبيّن لنا أنها عالجت قضايا تتعلق بالفرد الجزائري، وانشغالاته وهمومه وتطلعاته، ولقد قدمت صورة ورؤية عن المرأة، من عدة جوانب، نفسية واجتماعية وجسدية وحتى سياسية، وضمّنت نصوصها مشاهد وشخوصا وأحداثا أبانت عن ثورتها ضد كل ما يحط من شأن المرأة وقيمتها الإنسانية والأنثوية. ولقد قادنا البحث في هذه المدونة إلى جملة من النتائج، لعل أهمها:

- أسهمت الظروف الاجتماعية والسياسية في ظهور الرواية النسوية الجزائرية، وتطورها وبلوغها مرحلة النضج الفني.
- يتسم الأدب النسوي بسمات ترتبط بخصوصيات المرأة وعوالمها ووضعها الوجودي، في ظل ما يمارس عليها من قهر في المجتمعات الذكورية. فحرصت "زهرة ديك" على مواجهة المجتمع، عن طريق روايتها، وفضح سلوكياته المفجعة ضد المرأة، وكشف مختلف أشكال العنف التي طالتها.
- استوعبت رواية "بين فكي وطن" مشاكل المجتمع الجزائري، وركزت على مختلف الأزمات التي تواجهه، وحملت في طياتها مقترحات حول سبل النهوض بالوطن، ومقاومة ثقافة التطرف والعنف، والتأسيس لحياة كريمة.
- تمظهرت الشخصية في رواية "بين فكي وطن" متأثرة بالعنف، واقترنت بها دلالات وإيحاءات جعلتها في صلة وثيقة بالحدث العام، وأسهمت في رسم معالم الفكرة التي تنطلق منها الرواية، فكرة التطرف التي جعلت المجتمع الجزائري في مرحلة التسعينات بين فكي وطن جريح، آمل في غد أفضل.
- أظهرت "زهرة ديك"، كمبدعة من أولى مبدعات الجزائر، قدرتها على ممارسة كتابة واعية بالمفقود والمطلوب، فاستطاعت أن تصور الواقع التسعيني، بمختلف تفاصيله، وتفكك آلة العنف والإرهاب، وتشخص الداء وتقترح حلولا لتجاوز المحنة، لعل أهمها عودة ثقافة الحوار بين أفراد المجتمع، وإنصاف المرأة بدرجة خاصة.

نأمل أن تلي بحثنا هذا بحوث أخرى تزيد معارفنا سعة ونماء، فما دام الطموح موجودا فإن كل الصعاب ستنجلي، بحول الله ومشيئته. وأيا كان حظنا من التوفيق فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا. وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم:

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكروم، لسان العرب، المجلد الأول، طبعة جديدة محققة ومشكولة، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد
- حسب الله، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة.
- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة عنف، المجلد الثالث عشر، دار صادر، لبنان، 1968.
- معجم الوسيط، الجزء الثاني،ط3، دار عمران، مجمع اللغة العربية، القاهرة،1985.

المصادر والمراجع:

- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، ط7، دار العزة والكرامة للكتاب الجزائري، وهران، الجزائر، 2013.
- أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، دار الأدب ، لبنان، ط20، 2011.
- أحمد دوغان، الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- الأخضر بن السائح، سرد الجسد وغواية اللغة. قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2001.
- أمال بشيري، العالم ليس بخير، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
- أمل عبد الفتاح محمد، القضايا والمشكلات الاجتماعية المعاصرة، دار الكتاب الجامعي،2014.
- باديس فوغالي، التجربة القصصية النسائية في الجزائر، ط1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002.
- بنور عائشة، سقوط فارس الأحلام، ط1، منشورات نورشاد، الجزائر، 2009.
- جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2007.
- جميلة زنير، أصابع الاتهام، موفم للنشر الجزائر، 2008.
- جويدة حماش، بناء الشخصية. مقارنة في السرديات، منشورات الأوراس، الجزائر، 2007.
- حميد الحميداني، بنية النص السردي في منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991.
- خالد عز الدين، السلوك العدواني عند الأطفال، ط1، دار أسامة، عمان، الأردن، 2010.
- ربيعة جلطي، الذروة ، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010.

- زهرة ديك، بين فكي... وطن، منشورات التبين الجاحظة، الجزائر، 2000.
- زهرة ديك، بين فكي... وطن، منشورات التبيين/ الجاحظية، الجزائر، 2000.
- زهور ونيسي، جسر للبوح وآخر للحنين، دار زرياب، الجزائر، 2006.
- سهام دويفي، بختة، مطبعة صحر، الوادي، الجزائر، 2012.
- الشريف حبيلة، الرواية والعنف، عالم الكتب، الأردن، 2010.
- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي. معالجة تفكيكية سيميائية مركبة "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية. بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998.
- عنصر عياشي، سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر، ط1، دار الأمير للطباعة والنشر، القاهرة، 1999.
- فتيحة أحمد بوروينة، الهجالة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
- فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة ، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، يناير 2006.
- فيروز رشام ، تشرفت برحيلك، ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، 2017.
- كريمة العمري، نقش على جدائل امرأة، دار الشوق، الجزائر، 2008.
- مالكي حليمة، من وحي الآلام، موفم للنشر، الجزائر، 2007.
- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي. دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
- مريم لجيار، تحت المطر، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2014.
- مسعود بوسعيدة، ظاهرة العنف في الجزائر والعلاج المتكامل، دار الأمل، مصر، 2005.
- مصطفى التير، العنف العائلي، أكايمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1997، الرياض، 1997.
- معن خليل العمر، علم اجتماع العنف، ط1، الشروق، عمان، الأردن، 2010
- نبيلة زويش، تحليل الخطاب السردي، دار الريحانة للكاتب، الجزائر، 2007.
- نور الهدى باديس، دراسات في الخطاب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار فارس لنشر والتوزيع، بيروت، 2008.
- وافية بن مسعود، ط1، دوار العتمة، منشورات فاصلة، الجزائر، 2016.
- وجدان الصائغ، شهرزاد وغواية السرد قراءة والرواية الأنثوية، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008.

- ياسمينة صالح، أحزان امرأة من برج الميزان، منشورات جمعية المرأة في الاتصال، الجزائر، 2003.

الرسائل الجامعية:

- أميمة مهدي، حنان مريم، الأزمة الجزائرية في سرد النسوي "رواية" دوار العتمة "لوافيه بن مسعود دراسة موضوعية، مذكرة الماستر، إشراف أ. يمينة بن سويكي، جامعة أم بواقي، أم البواقي، الجزائر، 2017.
- خبيرة معطللة، فاطمة بولاهي، الرواية النسوية الجزائرية. موضوعاتها وبنيتها السردية، مذكرة ماستر، إشراف د. إدريس بن خويا، جامعة أدرار، الجزائر، 2014.
- عثمان فايزة، ظاهرة العنف في الرواية الجزائرية من 2000 إلى 2013. مقاربة بنيوية تكوينية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، إشراف أ.د نور الدين صدار، جامعة معسكر، الجزائر، 2015.
- عزة عناب ومريم شهبة، صورة المرأة في الرواية الجزائرية النسائية. رواية "الذروة" لربيعة جلطي أنموذجا، مذكرة ماستر، إشراف أ. باديس فوغالي، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2016.
- فيروز بوخالفة، لغة السرد النسوية في أدب زهور ونيسي، مذكرة ماجستر، إشراف أ. صالح لمباركية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012.
- لبنى عبدي، خصوصية الكتابة السردية في لرواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق، مذكرة الماستر، إشراف أ. نادية موات ، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2008.
- محمد خريف، العنف في الوسط المدرسي: أبعاده النفسية والاجتماعية وانعكاساته البيداغوجية. دراسة ميدانية بمؤسسات التعليم المتوسط بقسنطينة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، إشراف: أ.د. نصر الدين ليفة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008/2007.

الدوريات:

- الأخضر بن السائح، الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، مجلة الخطاب، المجلد4، العدد4، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، جانفي 2009.

- بلعبدي، تجليات مظاهر العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية أشباح المدينة المقتولة لبشير مفتي نموذجا، مجلة التعليمية، المجلد 09، العدد 2، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، جوان 2019.
- عبد الرحمان العيسوي، العنف الأسري، دراسة نفسية، مج05، ط1، دار الراتب الجامعية، لبنان، 2004.
- هنية مشقوق، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مجلة المخبر.2002.

المراجع الاكترونية:

- سناء محمد سليمان، مشكلة العنف والعدوان، https://www.neelwafurat.com .
- عادل بوزيد، العنف وسبل مواجهته. محاولة في سوسيولوجيا العنف في المجتمع التونسي، https://jilrc.com.
- غادة محمد الشريف، نقلا عن مرفت تلاوي، العنف ضد المرأة، المصري اليوم https://www.almasryalyoum.com/news/details/872768 .
- ماهو العنف اللفظي، المرسال www.almrsal.com/post/908315.
- موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، عنق النفسي، https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=.
- نوارة حسين، العنف وسبل مواجهته. محاولة في سوسيولوجيا العنف في المجتمع التونسي، http://jilrc.com.
- هند محمود، شيماء طنطاوي، نظرة للدراسات النسوية، ويكي الجندر https://genderiyya.xyz/wiki/.

الفهرس

فهرس الموضوعات

الصفحة

كلمة شكر

الإهداء

مقدمة 06

الفصل الأول: الرواية النسائية الجزائرية وقضاياها

المبحث الأول: ملامح الرواية النسائية وقضاياها.....06-39

1- نشأة الرواية النسائية الجزائرية.....10-15

2- قضايا الرواية النسائية.....15-30

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية وقضية العنف.....30-44

1 - تعريف العنف.....31-34

2- العنف ضد المرأة.....34-36

3- أشكال العنق ضد المرأة.....36-44

الفصل الثاني: تمثيل العنف في رواية "بين فكي وطن" ومحدداته على صعيد الشخصيات

المبحث الأول: أشكال العنف وتجلياته.....46-70

1- العنف السياسي.....46 – 51

2- العنف الاجتماعي 51-60

3- العنف الفكري.....60-62

4- العنف الثقافي.....62-67

5- العنف ضد الذات.....67- 70

المبحث الثاني: الشخصيات بوصفها محددات للعنف.....70-87

1- دلالة الشخصيات.....71-73
2- الشخصيات الرئيسية.....73-81
3- الشخصيات الثانوية.....81-84

خاتمة.....86-87

قائمة المصادر والمراجع.....89-94

الفهرس.....96-97